# تفسير
# سورة يوسف


إِعْدَادُ الْفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ:

هَيْثَم بْنِ مُحَمَّدٍ سَرْحَان

المُدَرِّسُ بِمَعْهَدِ الْحَرَمِ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ -سَابِقًا- وَالمُشْرِفُ عَلَى مَعْهَدِ السُّنَّةِ

mahadsunnah.com


غفرالله له ولوالديه ولمن أعانه على إخراج هذا الكتاب


الطَّبْعَةُ الْأُولَى

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

[طبعةٌ إلكترونيَّةٌ - غير مُعدَّةٍ للطِّباعة بعدُ]

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥م

# سورة يوسف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ
نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ
ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ
لِي سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ
لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦
۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا
مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ
أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ
ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا
لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن
تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ
وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦
قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ
لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ
فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ
يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ
مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي

مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن
تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ
وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ
عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ
مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن
قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ
أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي
ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا
سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ
فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ
فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ
وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي
كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ
فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا
تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ
إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ
أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ
﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن

دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ
ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ
فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ
سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾
يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ
خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا
حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا
قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ
أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ
نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ
أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِىۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ
إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا
مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾
وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ
قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ
فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ
ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ
وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا
نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ
يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ
فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ
أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن
شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ
مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟
نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم
مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾
قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ
قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾
۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا
لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ
أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن
نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟
نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا
فَرَّطتُّمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾
ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا

لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ
﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ
فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ
ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن
رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا
بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ
عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا
يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾
قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟
بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾
وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟
تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ
قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا
خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟
عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ
عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ
أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ
إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ
وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى
مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾.

## قالَ العلَّامةُ السِّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١-٣] ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾.

يخبر تعالىٰ أنَّ آيات القرآن هي ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: البيِّن الواضحةِ ألفاظُه ومعانيه.

ومن بيانه وإيضاحه: أنَّه أنزله باللِّسان العربيِّ، أشرَفِ الألسنة، وأبيَنِها، المُبين لكلِّ ما يحتاجه النَّاس من الحقائق النَّافعة، وكلُّ هذا الإيضاح والتَّبيين ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: لتعقلوا حدوده وأصوله وفروعه، وأوامره ونواهيه، فإذا عقلتم ذلك بإيقانكم واتَّصفت قلوبكم بمعرفتها، أثمر ذلك عمل الجوارح والانقياد إليه، و﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: تزداد عقولكم بتكرُّر المعاني الشَّريفة العالية،

علىٰ أذهانكم، فتنتقلون من حالٍ إلىٰ أحوالٍ أعلىٰ منها وأكملَ.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ وذلك لصدقها وسلاسة عبارتها ورونق معانيها، ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي: بما اشتمل عليه هذا القرآن الَّذي أوحيناه إليك، وفضَّلناك به علىٰ سائر الأنبياء، وذاك محض منَّةٍ من اللَّه وإحسانٍ.

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ أي: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحي اللَّه إليك، ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا.

ولمَّا مدح ما اشتمل عليه هذا القرآن من القصص، وأنَّها أحسن القصص علىٰ الإطلاق، فلا يوجد من القصص في شيءٍ من الكتب مثل هذا القرآن، ذكر قصَّه يوسف، وأبيه وإخوته، القصَّة العجيبة الحسنة فقال:

[٤-٦] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾، واعلم أنَّ اللَّه ذكر أنَّه يقُصُّ علىٰ رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثمَّ ذكر هذه القصَّة وبسطها، وذكر ما جرىٰ فيها، فعُلِم بذلك أنَّها قصَّةٌ تامَّةٌ كاملةٌ حسنةٌ، فمن أراد أن يُكمِّلها أو يُحسِّنها بما يُذكَر في الإسرائيليَّات الَّتي لا يُعرَف لها سندٌ ولا ناقلٌ، وأغلبها كذبٌ، فهو مُستدرِكٌ علىٰ اللَّه، ومُكمِّلٌ لشيءٍ يزعم أنَّه ناقصٌ، وحسبك بأمرٍ ينتهي إلىٰ هذا الحدِّ قُبحًا، فإنَّ تضاعيف هذه السُّورة قد مُلئت في كثيرٍ من التَّفاسير من الأكاذيب والأمور الشَّنيعة المُناقضة لما قصَّه اللَّه تعالىٰ بشيءٍ كثيرٍ.

فعلىٰ العبد أن يفهم عن اللَّه ما قصَّه، ويدع ما سوىٰ ذلك ممَّا ليس عن النَّبيِّ ﷺ يُنقَل.

فقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيم الخليل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾، فكانت هذه الرُّؤيا مُقدِّمةً لما وصل إليه يوسف عليه السلام من الارتفاع في الدُّنيا والآخرة.

وهكـذا إذا أراد اللَّـه أمـرًا مـن الأمـور العظـام قـدَّم بيـن يديـه مُقدِّمـةً، توطئـةً لـه، وتسـهيلًا لأمـره، واسـتعدادًا لما يرِدُ علىٰ العبد من المَشـاقِّ، لُطفًا بعبده، وإحسـانًا إليـه، فأوَّلَهـا يعقـوبُ بـأنَّ الشَّـمس: أمُّـه، والقمر: أبـوه، والكواكـب: إخوتُـه، وأنَّه سـتنتقل بـه الأحـوال إلـىٰ أن يصيـر إلىٰ حـالٍ يخضعـون له، ويسـجدون لـه إكرامًا وإعظامًـا، وأنَّ ذلـك لا يكـون إلَّا بأسـبابٍ تتقدَّمـه مـن اجتبـاء اللَّـه لـه، واصطفائه لـه، وإتمـام نعمتـه عليـه بالعلـم والعمـل، والتَّمكيـن فـي الأرض، وأنَّ هـذه النِّعمة ستشـمل آل يعقـوب، الَّذيـن سـجدوا لـه وصـاروا تبعًـا له فيهـا، ولهـذا قال:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ .

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أي: يصطفيـك ويختـارك بمـا يمنُّ به عليـك من الأوصاف الجليلـة والمناقـب الجميلـة، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ أي: مـن تعبيـر الرُّؤيـا، وبيـان مـا تـؤول إليـه الأحاديـث الصَّادقـة، كالكتـب السَّـماويَّة ونحوهـا، ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ فـي الدُّنيـا والآخـرة، بـأن يؤتيـك فـي الدُّنيـا حسـنةً، وفـي الآخرة حسـنةً، ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ حيـث أنعـم اللَّـه عليهمـا بنعـمٍ عظيمـةٍ واسـعةٍ، دينيَّـةٍ ودُنيويَّةٍ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ أي: علَّمـه مُحيـط بالأشـياء، وبما احتـوت عليه ضمائر العبـاد مـن البِـرِّ وغيـره، فيعطـي كلًّا مـا تقتضيه حكمتُـه وحمـدُه، فإنَّه حكيـمٌ يضع الأشـياء مواضعَها، ويُنزلهـا منازلَها.

ولمَّـا بـان تعبيرُها ليوسـف، قال لـه أبـوه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ أي: حسـدًا مـن عنـد أنفسـهم أن تكون أنـت الرَّئيس الشَّـريف عليهم.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ لا يفتـر عنـه ليـلًا ولا نهـارًا، ولا سـرًّا ولا جهـارًا، فالبعـد عـن الأسـباب الَّتـي يتسـلَّط بهـا علـىٰ العبد أولـىٰ، فامتثل يوسـف أمـر أبيـه، ولـم يخبـر إخوتـه بذلك، بـل كتمهـا عنهم.

[٧-٩] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ .

يقول تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ أي: عِبَرٌ وأدلَّةٌ علىٰ كثيرٍ من المطالب الحسنة، ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ أي: لكلِّ من سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال، فإنَّ السَّائلين هم الَّذين ينتفعون بالآيات والعِبَرِ، وأمَّا المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا في القصص والبيِّنات.

﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ فيما بينهم: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ بنيامين، أي: شقيقه، وإلَّا فكلهم إخوةٌ، ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعةٌ، فكيف يُفضِّلهما علينا بالمحبَّة والشَّفقة، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ أي: لفي خطإٍ بيِّنٍ، حيث فضَّلهما علينا من غير موجِبٍ نراه، ولا أمرٍ نشاهده.

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: غيِّبوه عن أبيه في أرضٍ بعيدةٍ لا يتمكَّن من رؤيته فيها، فإنَّكم إذا فعلتم أحد هذين الأمرين ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: يتفرَّغ لكم، ويُقبِل عليكم بالشَّفقة والمَحبَّة، فإنَّه قد اشتغل قلبُه بيوسف شغلًا لا يتفرَّغ لكم، ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد هذا الصَّنيع ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ أي: تتوبون إلىٰ اللَّه، وتستغفرون من بعد ذنبكم، فقدَّموا العزم علىٰ التَّوبة قبل صدور الذَّنب منهم تسهيلًا لفعله، وإزالةً لشناعته، وتنشيطًا من بعضهم لبعضٍ.

[١٠] ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾ .

أي: ﴿قَالَ قَآئِلٌ﴾ من إخوة يوسف الَّذين أرادوا قتله أو تبعيده: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾، فإنَّ قتله أعظم إثمًا وأشنَعُ، والمقصود يحصل بتبعيده عن أبيه من غير قتل، ولكن توصَّلوا إلىٰ تبعيده بأن تلقوه ﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وتتوعَّدوه علىٰ أنَّه لا يُخبِر بشأنكم، بل علىٰ أنَّه عبدٌ مملوكٌ آبقٌ منكم، لأجل أن ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ الَّذين يريدون مكانًا بعيدًا، فيحتفظون فيه.

وهـذا القائـل أحسـنهم رأيًـا فـي يوسـف، وأبَرُّهـم وأتقاهـم في هـذه القضيَّـة، فإنَّ بعـض الشَّـرِّ أهـون مـن بعـض، والضَّـرر الخفيـف يُدفَـع بـه الضَّـرر الثَّقيـل، فلمَّـا اتَّفقـوا علـىٰ هذا الـرَّأي:

[١١-١٤] ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

أي: قـال إخـوة يوسـف مُتوصِّليـن إلىٰ مقصدهـم لأبيهـم: ﴿يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: لأيِّ شـيءٍ يدخلـك الخـوف منَّـا علـىٰ يوسـف، مـن غيـر سـببٍ ولا موجِـبٍ؟ ﴿وَ﴾ الحـال ﴿إِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: مشـفقون عليـه، نـوَدُّ لـه مـا نـوَدُّ لأنفُسـنا، وهذا يـدلُّ علـىٰ أن يعقـوب عليه السلام لا يترك يوسـف يذهـب مـع إخوتـه للبرِّيَّـة ونحوها.

فلمَّـا نفـوا عـن أنفسـهم التُّهمـة المانعـة مـن عـدم إرسـاله معهـم، ذكـروا لـه مـن مصلحـة يوسـف وأُنسـه الَّـذي يُحبُّه أبـوه له، مـا يقتضي أن يسـمح بإرسـاله معهم، فقالـوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ أي: يتنـزَّه فـي البرِّيَّـة ويسـتأنس، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: سـنراعيه، ونحفظـه مـن أذًىٰ يريـده.

فأجابهـم بقولـه: ﴿إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: مُجـرَّد ذهابكم به يحزنني ويشـقُّ عليَّ، لأنَّنـي لا أقـدر علـىٰ فراقـه، ولو مـدَّةً يسـيرةً، فهـذا مانعٌ مـن إرسـاله، ﴿وَ﴾ مانـعٌ ثـانٍ وهـو أنِّـي ﴿أَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ أي: فـي حـال غفلتكـم عنـه، لأنَّـه صغيـرٌ لا يمتنع مـن الذِّئب.

﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعةٌ، حريصون علىٰ حفظه، ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي: لا خير فينا ولا نفع يُرجىٰ منَّا إن أكله الذِّئب وغلبنا عليه.

فلمَّـا مهَّـدوا لأبيهـم الأسـباب الدَّاعيـة لإرسـاله، وعـدم الموانـع، سـمح حينئـذٍ بإرسـاله معهـم لأجـل أُنسـه.

[١٥-١٨] ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ .

أي: لمَّا ذهب إخوة يوسف بيوسف بعد ما أذن له أبوه، وعزموا على أن يجعلوه في غَيابة الجب كما قال قائلهم السَّابق ذكره، وكانوا قادرين على ما أجمعوا عليه، فنفَّذوا فيه قدرتهم، وألقَوه في الجُبِّ، ثمَّ إنَّ اللَّه لطف به بأن أوحى إليه وهو في تلك الحال الحرجة، ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي: سيكون منك مُعاتبةٌ لهم، وإخبارٌ عن أمرهم هذا، وهم لا يشعرون بذلك الأمر، ففيه بشارةٌ له، بأنَّه سينجو ممَّا وقع فيه، وأنَّ اللَّه سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العزِّ والتَّمكين له في الأرض.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ ليكون إتيانهم مُتأخِّرًا عن عادتهم، وبكاؤهم دليلًا لهم، وقرينةً على صدقهم، فقالوا -مُتعذِّرين بعذرٍ كاذبٍ- ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ إمَّا على الأقدام، أو بالرَّمي والنِّضال، ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ توفيرًا له وراحةً، ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ في حال غيبتنا عنه في استباقنا، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي: تعذَّرنا بهذا العذر، والظَّاهر أنَّك لا تُصدِّقنا لما في قلبك من الحزن على يوسف، والرِّقَّة الشَّديدة عليه.

ولكنَّ عدم تصديقك إيَّانا، لا يمنعنا أن نعتذر بالعذر الحقيقيِّ، وكلُّ هذا تأكيدٌ لعذرهم، ﴿وَ﴾ ممَّا أكَّدوا به قولهم أنَّهم ﴿جَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ﴾ زعموا أنَّه دم يوسف حين أكله الذِّئب، فلم يُصدِّقهم أبوهم بذلك، و﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ﴾ أي: زيَّنت لكم أنفسكم أمرًا قبيحًا في التَّفريق بيني وبينه؛ لأنَّه رأى من القرائن والأحوال ومن رؤيا يوسف الَّتي قصَّها عليه ما دلَّه على ما قال.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: أمَّا أنا فوظيفتي سأحرص علىٰ القيام بها، وهي أنِّي أصبر علىٰ هذه المِحنة صبرًا جميلًا سالمًا من السُّخط والتَّشكِّي إلىٰ الخلق، وأستعين اللَّه علىٰ ذلك، لا علىٰ حولي وقوَّتي، فوعَدَ من نفسه هذا الأمر وشكىٰ إلىٰ خالقه في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّ الشَّكوىٰ إلىٰ الخالق لا تنافي الصَّبر الجميل، لأنَّ النَّبيَّ إذا وعد وفَّىٰ.

[١٩-٢٠] ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

أي: مكث يوسف في الجبِّ ما مكث، حتَّىٰ ﴿جَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي: قافلةٌ تريد مصر، ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ أي: فرطهم ومُقدَّمهم، الَّذي يعُسُّ لهم المياه، ويسبرها ويستعدُّ لهم بتهيئة الحياض ونحو ذلك، ﴿فَأَدْلَىٰ﴾ ذلك الوارد ﴿دَلْوَهُۥ﴾ فتعلَّق فيه يوسف عليه السلام وخرج، ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ أي: استبشر وقال: هذا غلامٌ نفيسٌ، ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ وكان إخوته قريبًا منه، فاشتراه السَّيَّارة منهم، ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ أي: قليل جدًّا، فسَّره بقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾؛ لأنَّه لم يكن لهم قصدٌ إلَّا تغييبه وإبعاده عن أبيه، ولم يكن لهم قصدٌ في أخذ ثمنه، والمعنىٰ في هذا: أنَّ السَّيَّارة لمَّا وجدوه، عزموا أن يُسِرُّوا أمره، ويجعلوه من جملة بضائعهم الَّتي معهم، حتَّىٰ جاءهم إخوتُه فزعموا أنَّه عبدٌ أبق منهم، فاشتروه منهم بذلك الثَّمن، واستوثقوا منهم فيه لئلَّا يهرب، واللَّه أعلم.

[٢١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

أي: لمَّا ذهب به السَّيَّارة إلىٰ مصر وباعوه بها، فاشتراه عزيز مصر، فلمَّا اشتراه، أُعجِب به، ووصَّىٰ عليه امرأته وقال: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ

﴿وَلَدًا﴾ أي: إمَّا أن ينفعنا كنفع العبيد بأنواع الخدم، وإمَّا أن نستمتع فيه استمتاعنا بأولادنا، ولعلَّ ذلك أنَّه لم يكن لهما ولدٌ، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كما يسَّرنا له أن يشتريه عزيز مصر، ويُكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدِّمةً لتمكينه في الأرض من هذا الطَّريق، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ إذا بقي لا شغل له ولا همَّ له سوىٰ العلم صار ذلك من أسباب تعلُّمه علمًا كثيرًا، من علم الأحكام، وعلم التَّعبير، وغير ذلك، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ أي: أمره تعالىٰ نافذٌ، لا يبطله مُبطِلٌ، ولا يغلبه مُغالِبٌ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ فلذلك يجري منهم ويصدر ما يصدر، في مغالبة أحكام اللَّه القدريَّة، وهم أعجز وأضعف من ذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

أي: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ يوسف ﴿أَشُدَّهُۥٓ﴾ أي: كمال قوَّته المعنويَّة والحسِّيَّة، وصلح لِأنْ يتحمَّل الأحمال الثَّقيلة من النُّبوَّة والرِّسالة، ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ أي: جعلناه نبيًّا رسولًا وعالمًا ربَّانيًّا، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ في عبادة الخالق ببذل الجهد والنُّصح فيها، وإلىٰ عباد اللَّه ببذل النَّفع والإحسان إليهم، نؤتيهم من جملة الجزاء علىٰ إحسانهم علمًا نافعًا، ودلَّ هذا، علىٰ أنَّ يوسف وفَّىٰ مقام الإحسان، فأعطاه اللَّه الحُكم بين النَّاس والعلم الكثير والنُّبوَّة.

[٢٣-٢٩] ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ

مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

هـذه المحنـة العظيمـة أعظـم علىٰ يوسـف مـن محنـة إخوتـه، وصبره عليهـا أعظم أجـرًا؛ لأنَّـه صبـر اختيـارٍ مـع وجـود الدَّواعـي الكثيرة لوقـوع الفعـل، فقـدَّم محبَّة اللَّـه عليهـا، وأمَّا محنتـه بإخوته فصبرُه صبـرُ اضطـرارٍ، بمنزلة الأمـراض والمكاره الَّتـي تصيـب العبـد بغير اختيـاره، وليس له ملجـأٌ إلَّا الصَّبـر عليها طائعًـا أو كارهًا، وذلـك أنَّ يوسـف -عليـه الصَّلاة والسـلَّام- بقـي مُكرَّمًا فـي بيت العزيـز، وكان له مـن الجمـال والكمـال والبهـاء مـا أوجـب ذلـك، أن ﴿رَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي: هـو غلامهـا، وتحـت تدبيرهـا، والمسـكن واحـدٌ، يتيسَّـر إيقـاع الأمر المكـروه مـن غير إشـعار أحدٍ، ولا إحسـاس بشـرٍ.

﴿وَ﴾ زادت المصيبـة بـأن ﴿غَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ وصـار المحلُّ خاليًـا، وهما آمنان من دخـول أحـدٍ عليهما، بسـبب تغليـق الأبـواب، وقد دعتـه إلىٰ نفسـها ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ أي: افعـل الأمـر المكـروه وأقبل إليَّ، ومـع هذا فهو غريبٌ، لا يحتشـم مثله مـا يحتشـمه إذا كان فـي وطنه وبيـن معارفه، وهو أسـيرٌ تحـت يدها، وهي سـيِّدته، وفيهـا مـن الجمـال ما يدعـو إلىٰ مـا هنالك، وهو شـابٌّ عـزبٌ، وقد توعَّدتـه إن لم يفعـل مـا تأمره به بالسِّـجن، أو العـذاب الأليم.

فصبـر عـن معصيـة اللَّه مـع وجـود الدَّاعي القـويِّ فيـه؛ لأنَّه قد هـمَّ فيها همَّـا تركه للَّـه، وقـدَّم مُـراد اللَّه علىٰ مُـراد النَّفس الأمَّارة بالسُّـوء، ورأىٰ من برهـان ربِّه -وهو مـا معـه مـن العلم والإيمـان، الموجـب لترك كلِّ مـا حرَّم اللَّـه- ما أوجب لـه البُعد والانكفـافَ عـن هذه المعصية الكبيـرة، و﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: أعـوذ باللَّه أن أفعل هـذا الفعـل القبيـح؛ لأنَّـه ممَّا يُسـخط اللَّـه ويُبعد منـه، ولأنَّـه خيانةٌ في حقِّ سـيِّدي الَّذي أكـرم مثواي.

فـلا يليـق بـي أن أقابله في أهلـه بأقبـح مُقابلةٍ، وهـذا من أعظـم الظُّلـم، والظَّالم لا يُفلـح، والحاصـل أنَّـه جعـل الموانـع لـه من هـذا الفعل تقـوىٰ اللَّـه، ومُراعـاة حقِّ سـيِّده الَّـذي أكرمـه، وصيانة نفسـه عـن الظُّلم الَّـذي لا يُفلح مـن تعاطـاه، وكذلك

ما منَّ اللَّه عليه من برهان الإيمان الَّذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزَّواجر، والجامع لذلك كلِّه أنَّ اللَّه صرف عنه السُّوء والفحشاء؛ لأنَّه من عباده المُخلِصين له في عباداتهم، الَّذين أخلصهم اللَّه واختارهم، واختصَّهم لنفسه، وأسدىٰ عليهم من النِّعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه.

ولمَّا امتنع من إجابة طلبها بعد المُراودة الشَّديدة، ذهب ليهرب عنها ويبادر إلىٰ الخروج من الباب ليتخلَّص، ويهرب من الفتنة، فبادرت إليه، وتعلَّقت بثوبه، فشقَّت قميصه، فلمَّا وصلا إلىٰ الباب في تلك الحال، ألفيا سيِّدها، أي: زوجها لدىٰ الباب، فرأىٰ أمرًا شقَّ عليه، فبادرت إلىٰ الكذب، أنَّ المراودة قد كانت من يوسف، وقالت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ ولم تقل «من فعل بأهلك سوءًا» تبرئةً لها وتبرئةً له أيضًا من الفعل، وإنَّما النِّزاع عند الإرادة والمُراودة ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي: أو يُعذَّب عذابًا أليمًا.

فبرَّأ نفسه ممَّا رمته به، و﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ فحينئذٍ احتملت الحال صدق كلِّ واحدٍ منهما ولم يُعلَم أيُّهما، ولكنَّ اللَّه تعالىٰ جعل للحقِّ والصِّدق علاماتٍ وأماراتٍ تدلُّ عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمنَّ اللَّه في هذه القضيَّة بمعرفة الصَّادق منهما، تبرئةً لنبيِّه وصَفيِّه يوسف عليه السلام، فانبعث شاهدٌ من أهل بيتها، يشهد بقرينة من وجدت معه، فهو الصَّادق، فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾؛ لأنَّ ذلك يدلُّ علىٰ أنَّه هو المُقبل عليها، المُراود لها المُعالج، وأنَّها أرادت أن تدفعه عنها، فشقَّت قميصه من هذا الجانب، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾؛ لأنَّ ذلك يدلُّ علىٰ هروبه منها، وأنَّها هي الَّتي طلبته فشقَّت قميصه من هذا الجانب، ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ عرف بذلك صدق يوسف وبراءته، وأنَّها هي الكاذبة، فقال لها سيِّدها: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ وهل أعظم من هذا الكيد، الَّذي برَّأت به نفسها ممَّا أرادت وفعلت، ورمت

بـه نبيَّ اللَّه يوسـف عليه السلام، ثـمَّ إنَّ سـيِّدها لمَّا تحقَّـق الأمر، قال ليوسـف: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾ أي: اتـرك الـكلام فيـه وتناسَـه ولا تذكـره لأحـدٍ، طلبًا للسَّـتر علىٰ أهلـه، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي﴾ أيَّتها المـرأة ﴿لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ٢٩﴾، فأمر يوسـف بالإعـراض، وهـي بالاسـتغفار والتَّوبة.

[٣٠-٣٥] ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾.

يعنـي: أنَّ الخبر اشـتهر وشـاع في البلد، وتحدَّث به النِّسـوة فجعلـن يلُمنَها، ويَقُلن: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: هـذا أمـرٌ مُسـتقبَحٌ، هي امرأةٌ كبيـرة القـدر، وزوجهـا كبيـر القـدر، ومـع هـذا لـم تـزل تـراود فتاهـا الَّـذي تحت يدهـا وفـي خدمتهـا عن نفسـه، ومع هـذا فـإنَّ حبَّه قد بلـغ من قلبهـا مبلغًـا عظيمًا، ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: وصـل حبُّـه إلىٰ شـغاف قلبها، وهـو باطنه وسُـوَيداؤه، وهذا أعظـم ما يكون مـن الحـبِّ، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾ حيث وُجـدت منها هذه الحالـة الَّتـي لا تنبغـي منها، وهي حالـةٌ تحُطُّ قدرهـا وتضعه عند النَّـاس، وكان هذا القـول منهـنَّ مَكـرًا، ليس المقصود بـه مُجرَّد اللَّوم لهـا والقدح فيهـا، وإنَّما أردن أن يتوصَّلـن بهـذا الـكلام إلـىٰ رؤية يوسـف الَّذي فُتنـت به امـرأة العزيز؛ لتحنـق امرأة العزيـز، وتريهنَّ إيَّـاه ليَعذُرنَها، ولهذا سـمَّاه مكـرًا، فقال:

﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾ تدعوهـنَّ إلـىٰ منزلهـا للضِّيافـة، ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ أي: محـلًّا مُهيَّـأً بأنـواع الفُـرُش والوسـائد، ومـا يُقصَـد بذلـك مـن المآكل

اللَّذيذة، وكان في جملة ما أتت به وأحضرته في تلك الضِّيافة طعامٌ يحتاج إلىٰ سِكِّينٍ، إمَّا أُترُجٌّ أو غيره، ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ ليقطعن فيها ذلك الطَّعام ﴿وَقَالَتِ﴾ ليوسف: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ في حالة جماله وبهائه.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أي: أعظمنه في صدورهنَّ، ورأين منظرًا فائقًا لم يُشاهدن مثله، ﴿وَقَطَّعْنَ﴾ من الدَّهش ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾ بتلك السَّكاكين اللَّاتي معهنَّ، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي: تنزيهًا للَّه ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾، وذلك أنَّ يوسف أُعطِي من الجمال الفائق والنُّور والبهاء ما كان به آيةً للنَّاظرين، وعبرةً للمُتأمِّلين.

فلمَّا تقرَّر عندهنَّ جمال يوسف الظَّاهر، وأعجبهنَّ غايةً، وظهر منهنَّ من العذر لامرأة العزيز شيءٌ كثيرٌ أرادت أن تُرِيَهُنَّ جماله الباطن بالعفَّة التَّامَّة، فقالت مُعلنةً لذلك ومُبيِّنةً لحبِّه الشَّديد غير مُبالِيَةٍ، ولأنَّ اللَّوم انقطع عنها من النِّسوة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي: امتنع وهي مُقيمةٌ علىٰ مُراودته، لم تزدها مرور الأوقات إلَّا قلقًا ومحبَّةً وشَوقًا لوِصالِه وتَوقًا.

ولهذا قالت له بحضرتهنَّ: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ لتُلجِئه بهذا الوعيد إلىٰ حصول مقصودها منه، فعند ذلك اعتصم يوسف بربِّه، واستعان به علىٰ كيدهنَّ، و﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ النِّسوة جعلن يُشِرن علىٰ يوسف في مُطاوعة سيِّدته، وجعلن يَكِدنَه في ذلك، فاستحبَّ السِّجن والعذاب الدُّنيَوِيَّ علىٰ لذَّةٍ حاضرةٍ توجب العذاب الشَّديد، ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: أمِلْ إليهنَّ، فإنِّي ضعيفٌ عاجزٌ إن لم تدفع عنِّي السُّوء، ﴿وَأَكُن﴾ إن صَبَوتُ إليهنَّ ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾، فإنَّ هذا جهلٌ؛ لأنَّه آثر لذَّةً قليلةً مُنغَّصةً علىٰ لذَّاتٍ مُتتابعاتٍ وشهواتٍ مُتنوِّعاتٍ في جنَّات النَّعيم، ومن آثر هذا علىٰ هذا فمن أجهل منه؟!! فإنَّ العلم والعقل يدعو إلىٰ تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللَّذَّتين، ويُؤثِر ما كان محمود العاقبة.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ حين دعاه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ فلم تزل تراوده وتستعين عليه بما تقدر عليه من الوسائل، حتَّىٰ أيَّسها، وصرف اللَّه عنه كيدها، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لدُعاء الدَّاعي ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ بنيَّته الصَّالحة، وبنيَّته الضَّعيفة المُقتضية لإمداده بمَعونته ولُطفه، فهذا ما نجَّىٰ اللَّه به يوسف من هذه الفتنة المُلِمَّة والمحنة الشَّديدة.

وأمَّا أسياده فإنَّه لمَّا اشتهر الخبر وبان، وصار النَّاس فيها بين عاذرٍ ولائمٍ وقادحٍ، ﴿بَدَا لَهُم﴾ أي: ظهر لهم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدَّالَّة علىٰ براءته، ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾﴾ أي: لينقطع بذلك الخبر ويتناساه النَّاس، فإنَّ الشَّيء إذا شاع لم يزل يُذكَر ويُشاع مع وجود أسبابه، فإذا عدمت أسبابه نُسِيَ، فرأوا أنَّ هذا مصلحةٌ لهم، فأدخلوه في السِّجن.

[٣٦-٤٠] ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

أي: ﴿وَ﴾ لمَّا دخل يوسف السِجن، كان في جملة من ﴿دَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ أي: شابَّان، فرأىٰ كلُّ واحدٍ منهما رؤيا، فقصَّها علىٰ يوسف ليَعبُرَها، فـ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾ وذلك الخبز ﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ أي: بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما، وقولهما: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: من أهل الإحسان إلىٰ الخلق، فأحسِن إلينا في تعبيرك لرؤيانا، كما أحسنت إلىٰ غيرنا، فتوسلَّا ليوسف بإحسانه.

فـ﴿قَالَ﴾ لهما مُجيبًا لطِلبَتِهما: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَا﴾ أي: فلتطمئنَّ قُلوبُكما، فإنِّي سأُبادِرُ إلىٰ تعبير رؤياكما، فلا يأتيكما غداؤُكما، أو عشاؤُكما، أوَّل ما يجيء إليكما، إلَّا نبَّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما، ولعلَّ يوسف -عليه الصلَّاة والسَّلام- قصد أن يدعوهما إلىٰ الإيمان في هذه الحال الَّتي بدت حاجتهما إليه، ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما.

ثمَّ قال: ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ التَّعبير الَّذي سأعبُرُه لكما ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ أي: هذا من علم

اللَّـه علَّمنيه وأحسـن إلـيَّ بـه، وذلـك ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾، والتَّـرك كمـا يكـون للدَّاخل في شـيءٍ ثمَّ ينتقل عنـه، يكون لمن لـم يدخـل فيه أصـلًا، فلا يُقـال: إنَّ يوسـف كان من قبل علىٰ غير ملَّـة إبراهيم!

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ .

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ ثـمَّ فسَّـر تلك الملَّة بقوله: ﴿مَا كَانَ لَنَا﴾ أي: مـا ينبغـي ولا يليـق بنـا ﴿أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ بـل نُفـرِد اللَّـه بالتَّوحيد، ونُخلِـص لـه الدِّيـن والعبـادة، ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ أي: هـذا مـن أفضـل مِنَنِـه وإحسـانه وفضلـه علينا، وعلىٰ مَـن هداه اللَّـه كما هدانا، فإنَّـه لا أفضل مـن منَّـة اللَّه علىٰ العباد بالإسـلام والدِّيـن القَويـم، فمن قبلـه وانقاد له فهـو حظُّه، وقـد حصل لـه أكبر النِّعـم وأجـلُّ الفضائل.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾، فلذلـك تأتيهـم المنَّـة والإحسـان فـلا يقبلونهـا ولا يقومـون للَّـه بحقِّـه، وفـي هـذا مـن التَّرغيـب للطَّريـق الَّتي هـو عليها مـا لا يخفـىٰ، فـإنَّ الفَتيَيْـنِ لمَّـا تقـرر عنـده أنَّهمـا رأيـاه بعيـن التَّعظيـم والإجـلال -وأنَّـه مُحسِـنٌ مُعلِّـمٌ- ذكـر لهمـا أنَّ هـذه الحالـة الَّتـي أنـا عليهـا، كلَّها مـن فضل اللَّـه وإحسـانه، حيـث منَّ علـيَّ بترك الشِّـرك وباتِّبـاع ملَّة آبائـه، فبهـذا وصلتُ إلىٰ مـا رأيتُمـا، فينبغـي لكمـا أن تسلُكا ما سـلكتُ.

ثـمَّ صـرَّح لهمـا بالدَّعـوة، فقـال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ أي: أربـابٌ عاجـزةٌ ضعيفـةٌ لا تنفـع ولا تضُـرُّ، ولا تعطـي ولا تمنـع، وهـي مُتفرِّقـةٌ مـا بيـن أشـجارٍ وأحجـارٍ وملائكـةٍ وأمـواتٍ، وغيـر ذلك من أنـواع المَعبـودات الَّتـي يتَّخذها المُشـركون، أتلك ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ﴾ الَّـذي له صفات

الكمال، ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيءٍ من ذلك، ﴿ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ الَّذي انقادت الأشياء لقَهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ ومن المعلوم أنَّ من هذا شأنه ووصفه خيرٌ من الآلهة المُتفرِّقة الَّتي هي مُجرَّد أسماءٍ، لا كمال لها ولا أفعال لديها. ولهذا قال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: كسوتموها أسماء، سمَّيتموها آلهةً، وهي لا شيء، ولا فيها من صفات الألوهيَّة شيءٌ، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ بل أنزل اللَّه السُّلطان بالنَّهي عن عبادتها وبيان بطلانها، وإذا لم يُنزِّل اللَّه بها سلطانًا لم يكن طريقٌ ولا وسيلةٌ ولا دليلٌ لها؛ لأنَّ الحكم للَّه وحده، فهو الَّذي يأمر وينهىٰ، ويشرع الشَّرائع، ويسُنُّ الأحكام، وهو الَّذي أمركم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: المستقيم الموصل إلىٰ كلِّ خيرٍ، وما سواه من الأديان فإنَّها غير مُستقيمةٍ، بل مُعوَجَّةٌ توصل إلىٰ كلِّ شرٍّ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ حقائق الأشياء، وإلَّا فإنَّ الفرق بين عبادة اللَّه وحده لا شريك له، وبين الشِّرك به، أظهر الأشياء وأبينها، ولكن لعدم العلم من أكثر النَّاس بذلك، حصل منهم ما حصل من الشِّرك، فيوسف عليه السلام دعا صاحبي السِّجن لعبادة اللَّه وحده، وإخلاص الدِّين له، فيحتمل أنَّهما استجابا وانقادا، فتمَّت عليهما النِّعمة، ويحتمل أنَّهما لم يزالا علىٰ شركهما، فقامت عليهما -بذلك- الحجَّة، ثمَّ إنَّه عليه السلام شرع يُعبِّر رؤياهما، بعد ما وعدهما ذلك، فقال:

[٤١] ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ وهو الَّذي رأىٰ أنَّه يعصر خمرًا، فإنَّه يخرج من السِّجن ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ أي: يسقي سيِّده الَّذي كان يخدمه خمرًا، وذلك مُستلزِمٌ لخروجه من السِّجن، ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾ وهو: الَّذي رأىٰ أنَّه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطَّير منه، ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ فإنَّه عبَّر عن الخبز الَّذي تأكله الطَّير بلحم رأسه وشحمه، وما فيه من المخِّ، وأنَّه لا يُقبَر

ويُستَر عن الطُّيور، بل يُصلَب ويُجعَل في محلٍّ، تتمكَّن الطُّيور من أكله، ثمَّ أخبرهما بأنَّ هذا التَّأويل الَّذي تأوَّله لهما، أنَّه لابدَّ من وقوعه فقال: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ أي: تسألان عن تعبيره وتفسيره.

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾.

أي: ﴿وَقَالَ﴾ يوسف عليه السلام: ﴿لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ وهو: الَّذي رأى أنَّه يعصر خمرًا: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: اذكر له شأني وقصَّتي، لعلَّه يرقُّ لي، فيخرجني ممَّا أنا فيه، ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ أي: فأنسى الشَّيطان ذلك النَّاجي ذكر اللَّه تعالىٰ، وذكر ما يُقرِّب إليه، ومن جملة ذلك نسيانه ذكر يوسف الَّذي يستحقُّ أن يُجازىٰ بأتمِّ الإحسان، وذلك ليُتِمَّ اللَّه أمره وقضاءه، ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾ والبضع من الثَّلاث إلىٰ التِّسع، ولهذا قيل: إنَّه لبث سبع سنين، ولمَّا أراد اللَّه أن يُتِمَّ أمره، ويأذن بإخراج يوسف من السِّجن، قدَّر لذلك سببًا لإخراج يوسف وارتفاع شأنه وإعلاء قدره، وهو رؤيا الملك.

[٤٣-٤٩] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾.

لمَّا أراد اللَّه تعالىٰ أن يُخرج يوسف من السِّجن، أرىٰ اللَّه الملك هذه الرُّؤيا العجيبة، الَّتي تأويلها يتناول جميع الأمَّة، ليكون تأويلها علىٰ يد يوسف، فيظهر من فضله، ويبين من علمه ما يكون له رفعةً في الدَّارين، ومن التَّقادير المناسبة

أنَّ الملك الَّذي ترجع إليه أمور الرَّعيَّة هو الذَي رآها؛ لارتباط مصالحها به، وذلك أنَّه رأىٰ رؤيا هالته، فجمع لها علماء قومه وذوي الرَّأي منهم وقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ﴾ أي: سبعٌ من البقرات ﴿عِجَافٞ﴾، وهذا من العجب، أنَّ السَّبع العجاف الهزيلات اللَّاتي سقطت قوَّتهن، يأكلن السَّبع السِّمان الَّتي كنَّ نهايةً في القوَّة، ﴿وَ﴾ رأيت ﴿سَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ يأكلهنَّ سبع سنبلاتٍ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾؛ لأنَّ تعبير الجميع واحدٌ، وتأويله شيءٌ واحدٌ، ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾، فتحيَّروا ولم يعرفوا لها وجهًا.

و﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ أي: أحلامٌ لا حاصل لها، ولا لها تأويلٌ، وهذا جزمٌ منهم بما لا يعلمون، وتعذُّرٌ منهم بما ليس بعذرٍ، ثمَّ قالوا: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ أي: لا نعبُر إلَّا الرُّؤيا، وأمَّا الأحلام الَّتي هي من الشَّيطان أو من حديث النَّفس فإنَّا لا نعبُرها، فجمعوا بين الجهل، والجزم بأنَّها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنَّفس، بحيث إنَّهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور الَّتي لا تنبغي لأهل الدِّين والحِجا، وهذا أيضًا من لطف اللَّه بيوسف عليه السلام، فإنَّه لو عبَرها ابتداءً -قبل أن يعرضها علىٰ الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها- لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لمَّا عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مُهتَمًّا لها غايةً، فعبرها يوسف، وقعت عندهم موقعًا عظيمًا، وهذا نظير إظهار اللَّه فضل آدم علىٰ الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا، ثمَّ سأل آدم، فعلَّمهم أسماء كلِّ شيءٍ، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمَّدٍ ﷺ في القيامة، أن يلهم اللَّه الخلق أن يتشفَّعوا بآدم، ثمَّ بنوحٍ، ثمَّ إبراهيم، ثمَّ موسىٰ، ثمَّ عيسىٰ عليهم السلام، فيعتذرون عنها، ثمَّ يأتون محمَّدًا ﷺ فيقول: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»، فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود الَّذي يغبطه به الأوَّلون والآخرون.

فسبحان من خفيت ألطافه، ودقَّت في إيصاله البرَّ والإحسان إلىٰ خواصِّ

أصفيائه وأوليائه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي: من الفَتَيَين، وهو: الذي رأىٰ أنَّه يعصر خمرًا، وهو الَّذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربِّه ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: وتذكَّر يوسف، وما جرىٰ له في تعبيره لرؤياهما، وما وصَّاه به، وعلم أنَّه كفيلٌ بتعبير هذه الرُّؤيا بعد مدَّةٍ من السِّنين، فقال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ إلىٰ يوسف لأسأله عنها، فأرسلوه، فجاء إليه، ولم يُعنِّفه يوسف علىٰ نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ أي: كثير الصِّدق في أقواله وأفعاله، ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فإنَّهم مُتشوِّقون لتعبيرها، وقد أهمَّتهم.

فعبَر يوسف السَّبع البقرات السِّمان والسَّبع السُّنبلات الخُضرَ، بأنَّهن سبع سنين مُخصباتٌ، والسَّبع البقرات العجاف والسَّبع السُّنبلات اليابسات بأنَّهن سنينُ مُجدباتٌ، ولعلَّ وجه ذلك -واللَّه أعلم- أنَّ الخصب والجدب لمَّا كان الحرث مبنيًّا عليه، وأنَّه إذا حصل الخصب قويت الزُّروع والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غِلالها، والجدب بالعكس من ذلك، وكانت البقر هي الَّتي تُحرَث عليها الأرض، وتُسقىٰ عليها الحروث في الغالب، والسُّنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك، لوجود المُناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التَّعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدُّون به من التَّدبير في سِني الخصب، إلىٰ سِني الجدب فـ:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي: متتابعاتٍ، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ من تلك الزُّروع ﴿فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾؛ لأنَّه أبقىٰ له وأبعد من الالتفات إليه، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: دبِّروا أيضًا أكلكم في هذه السِّنين الخصبة، وليكن قليلًا ليكثر ما تدَّخرون ويعظُم نفعه ووقعه.

﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد تلك السِّنين السَّبع المُخصبات، ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ أي:

مُجدبـاتٌ جـدًّا ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: يأكلـن جميع ما ادَّخرتمـوه ولو كان كثيرًا، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: تمنعونـه مـن التَّقديم لهنَّ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد السَّـبع الشِّداد ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي: فيـه تكثـر الأمطار والسُّـيول، وتكثر الغـلَّات، وتزيد علىٰ أقواتهـم، حتَّىٰ إنَّهم يعصـرون العنـب ونحوه زيـادةً علىٰ أكلهـم، ولعلَّ استدلاله علىٰ وجود هـذا العام الخصـب مـع أنَّـه غيـر مُصـرَّحٍ بـه في رؤيـا الملـك لأنَّـه فهـم مـن التَّقدير بالسَّـبع الشِّـداد أنَّ العـام الَّـذي يليهـا يزول به شـدَّتها، ومـن المعلـوم أنَّه لا يـزول الجدب المُسـتمرُّ سـبع سـنين مُتواليـاتٍ، إلَّا بعامٍ مُخصبٍ جدًّا، وإلَّا لمـا كان للتَّقدير فائدةٌ، فلمَّـا رجع الرَّسـول إلـىٰ الملك والنَّـاس، وأخبرهم بتأويل يوسـف للرُّؤيـا، عجبوا من ذلـك، وفرحـوا بها أشـدَّ الفرح.

[٥٠-٥٧] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۖ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

يقـول تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ لمـن عنده ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ أي: بيوسـف عليه السلام، بأن يخرجوه مـن السِّـجن ويحضـروه إليـه، فلمّـا جـاء يوسـفَ الرَّسـولُ وأمـره بالحضـور عنـد الملـك امتنـع عـن المبـادرة إلـىٰ الخـروج، حتَّـىٰ تتبيَّـن براءتـه التَّامَّـة، وهـذا مـن صبـره وعقلـه ورأيـه التَّامِّ.

فـ﴿قَالَ﴾ للرَّسـول: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني به الملـك، ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي

﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي: اسأله ما شأنُهنَّ وقصَّتُهنَّ، فإنَّ أمرهُنَّ ظاهرٌ مُتَّضحٌ ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

فأحضرهنَّ الملك، و﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ أي: شأنُكنَّ ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فهل رأيتُنَّ منه ما يريب؟

فبرَّأنه و﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ أي: لا قليل ولا كثير، فحينئذٍ زال السَّبب الَّذي تنبني عليه التُّهمة، ولم يبق إلَّا ما عند امرأة العزيز، فـ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تمحَّض وتبيَّن، بعد ما كنَّا نُدخِل معه من السُّوء والتُّهمة، ما أوجب له السِّجن ﴿أَنَا۠ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ في أقواله وبراءته.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الإقرار الَّذي أقررت -أنِّي راودت يوسف- ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾، يحتمل أنَّ مُرادها بذلك زوجها، أي: ليعلم أنِّي حين أقررت أنِّي راودت يوسف، أنِّي لم أخُنه بالغيب، أي: لم يجر منِّي إلَّا مُجرَّد المُراودة، ولم أفسد عليه فراشه، ويحتمل أنَّ المُراد بذلك ليعلم يوسف حين أقررت أنِّي أنا الَّتي راودته، وأنَّه صادقٌ، أنِّي لم أخُنه في حال غيبته عني، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾، فإنَّ كلَّ خائنٍ لابدَّ أن تعود خيانته ومكره علىٰ نفسه، ولابدَّ أن يتبيَّن أمره.

ثمَّ لمَّا كان في هذا الكلام نوع تزكيةٍ لنفسها، وأنَّه لم يجر منها ذنبٌ في شأن يوسف، استدركت فقالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ أي: من المُراودة والهَمِّ، والحرص الشَّديد، والكيد في ذلك، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: لَكثيرةُ الأمر لصاحبها بالسُّوء، أي: الفاحشة، وسائر الذُّنوب، فإنَّها مركب الشَّيطان، ومنها يدخل علىٰ الإنسان ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ فنجَّاه من نفسه الأمَّارة، حتَّىٰ صارت نفسه مُطمئنَّةً إلىٰ ربِّها، مُنقادةً لداعي الهُدىٰ، متعاصيةً عن داعي الرَّدىٰ، فذلك ليس من النَّفس؛ بل من فضل اللَّه ورحمته بعبده.

﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ أي: هو غفورٌ لمن تجرَّأ علىٰ الذُّنوب والمعاصي، إذا تاب وأناب، رَحِيمٌ بقبول توبته، وتوفيقه للأعمال الصالحة.

وهـذا هـو الصَّـواب أنَّ هـذا من قول امـرأة العزيز، لا من قول يوسـف، فإنَّ السِّـياق فـي كلامها، ويوسـف إذ ذاك في السِّـجن لم يحضر.

فلمَّـا تحقَّـق الملك والنَّـاس براءة يوسـف التَّامَّة، أرسـل إليه الملـك وقال: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ أي: أجعلـه خصيصـةً لي ومُقرَّبًا لديَّ، فأتوه بـه مُكرَّمًا مُحترمًا، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ أعجبـه كلامـه، وزاد موقعـه عنـده فقـال لـه: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا﴾ أي: عندنـا ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ أي: مُتمكِّنٌ، أمينٌ علىٰ الأسـرار، فـ ﴿قَالَ﴾ يوسـف طلبًا للمصلحـة العامَّـة: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: علـىٰ خزائـن جبايـات الأرض وغلالهـا، وكيـلًا حافظًـا مُدبِّـرًا، ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ أي: حفيـظٌ للَّـذي أتـولَّاه، فلا يضيـع منه شـيءٌ فـي غير محلِّـه، وضابـطٌ للدَّاخل والخـارج، عليـمٌ بكيفيَّـة التَّدبير والإعطـاء والمنـع، والتَّصرُّف فـي جميع أنـواع التَّصرُّفات، وليس ذلـك حرصًا من يوسـف علـىٰ الولايـة، وإنَّمـا هـو رغبـةٌ منـه فـي النَّفع العـامِّ، وقـد عرف من نفسـه مـن الكفـاءة والأمانة والحفـظ ما لم يكونـوا يعرفونـه، فلذلك طلب مـن الملك أن يجعلـه علىٰ خزائـن الأرض، فجعلـه الملك علـىٰ خزائـن الأرض وولَّاه إيَّاها.

قـال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: بهذه الأسـباب والمُقدِّمـات المذكورة، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ فـي عيـشٍ رغـدٍ، ونعمـةٍ واسـعةٍ، وجـاهٍ عريـضٍ، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ أي: هـذا مـن رحمة اللَّه بيوسـف الَّتي أصابـه بها وقدَّرها له، وليسـت مَقصـورةً علىٰ نعمـة الدُّنيا.

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ ويوسـف عليه السلام مـن سـادات المحسـنين، فلـه فـي الدُّنيـا حسـنةٌ وفـي الآخـرة حسـنةٌ، ولهـذا قـال: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ مـن أجـر الدُّنيـا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: لمـن جمـع بيـن التَّقـوىٰ والإيمـان، فبالتَّقـوىٰ تُتـرَك الأمـور المُحرَّمـة مـن كبائـر الذُّنـوب وصغائرهـا، وبالإيمـان التَّامِّ يحصـل تصديـق القلب بما أمـر اللَّـه بالتَّصديق به، وتتبعـه أعمال القلـوب وأعمال الجـوارح، مـن الواجبـات والمُسـتحبَّات.

[٥٨-٦٨] ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم

بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ .

أي: لمَّا تولَّىٰ يوسف عليه السلام خزائن الأرض، دبَّرها أحسن تدبيرٍ، فزرع في أرض مصر جميعها في السِّنين الخصبة زروعًا هائلةً، واتَّخذ لها المحلَّات الكبار، وجبا من الأطعمة شيئًا كثيرًا وحفظه، وضبطه ضبطًا تامًّا، فلمَّا دخلت السِّنون المُجدبة، وسرىٰ الجدب، حتَّىٰ وصل إلىٰ فلسطين الَّتي يقيم فيها يعقوب وبنوه، فأرسل يعقوب بنيه لأجل الميرة إلىٰ مصر، ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي: لم يعرفوه.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي: كال لهم كما كان يكيل لغيرهم، وكان من تدبيره الحسن أنَّه لا يكيل لكلِّ واحدٍ أكثر من حمل بعيرٍ، وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أنَّ لهم أخًا عند أبيه، وهو بنيامين، فـ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، ثمَّ رغَّبهم في الإتيان به فقال: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ في الضِّيافة والإكرام؟!

ثـمَّ رهَّبهم بعـدم الإتيـان بـه، فقـال: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ وذلـك لعلمـه باضطرارهـم إلىٰ الإتيان إليـه، وأنَّ ذلك يحملهـم علىٰ الإتيان بـه، فـ ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ دلَّ هذا علىٰ أنَّ يعقـوب عليه السلام كان مُولَعًا به لا يصبر عنـه، وكان يتسلَّىٰ بـه بعـد يوسـف، فلذلـك احتـاج إلـىٰ مُـراودةٍ فـي بعثـه معهم، ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ لمـا أمرتنـا به.

﴿وَقَالَ﴾ يوسـف ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾ الَّذيـن فـي خدمتـه: ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ أي: الثَّمـن الَّـذي اشـتروا بـه مـن الميـرة ﴿فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ أي: بضاعتهـم إذا رأوهـا بعـد ذلـك فـي رحالهـم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ لأجـل التَّحـرُّج مـن أخذهـا علىٰ مـا قيـل، والظَّاهـر أنَّـه أراد أن يُرغِّبهـم فـي إحسـانه إليهـم بالكيل لهـم كيـلًا وافيًا، ثـمَّ إعـادة بضاعتهـم إليهـم علىٰ وجهٍ لا يُحسُّـون بهـا، ولا يشـعرون لما يأتـي، فإنَّ الإحسـان يوجـب للإنسـان تمـام الوفاء للمُحسِـن.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ أي: إن لـم ترسـل معنـا أخانـا، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ أي: ليكـون ذلـك سببًا لكيلنـا، ثـمَّ التزمـوا لـه بحفظـه، فقالـوا: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ مـن أن يعـرض لـه مـا يكـره.

﴿قَالَ﴾ لهـم يعقـوب عليه السلام: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: تقـدَّم منكـم التـزامٌ أكثـر مـن هـذا فـي حفـظ يوسـف، ومـع هـذا لـم تفـوا بما عقدتـم مـن التَّأكيـد، فلا أثـق بالتزامكـم وحفظكـم، وإنَّما أثـق باللَّـه تعالىٰ، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: يعلـم حالـي، وأرجـو أن يرحمنـي، فيحفظه ويـرُدَّه علـيَّ، وكأنَّـه فـي هذا الـكلام قـد لان لإرسـاله معهم.

ثـمَّ إنَّهـم ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾، هـذا دليـلٌ علـىٰ أنَّه قـد كان معلومًـا عندهـم أنَّ يوسـف قد ردَّهـا عليهم بالقصـد، وأنَّـه أراد أن يُملِّكهم إيَّاهـا، فـ ﴿قَالُوا۟﴾ لأبيهم -ترغيبصا في إرسـال أخيهم معهـم-: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ﴾ أي: أيَّ شـيءٍ نطلـب بعـد هـذا الإكـرام الجميل، حيـث وفَّىٰ لنـا الكيـل، وردَّ علينا بضاعتنـا علـىٰ الوجه الحسـن، المُتضمِّـن للإخلاص ومـكارم الأخلاق؟

﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: إذا ذهبنا بأخينا صار سببًا لكيله لنا، فمُرنا أهلنا، وأتينا لهم بما هم مُضطرُّون إليه من القوت، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ﴾ بإرساله معنا، فإنَّه يكيل لكلِّ واحدٍ حِمل بعيرٍ، ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ أي: سهلٌ لا ينالك ضررٌ؛ لأنَّ المدَّة لا تطول، والمصلحة قد تبيَّنت.

فـ ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عهدًا ثقيلًا وتحلفون باللَّه ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ﴾ أي: إلَّا أن يأتيكم أمرٌ لا قِبَل لكم به، ولا تقدرون دفعه، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ على ما قال وأراد ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ أي: تكفينا شهادته علينا وحفظه وكفالته.

ثمَّ لمَّا أرسله معهم وصَّاهم إذا هم قدموا مصر أن ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ﴾ وذلك أنَّه خاف عليهم العين، لكثرتهم وبهاء منظرهم، لكونهم أبناء رجلٍ واحدٍ، وهذا سببٌ.

﴿وَ﴾ إلَّا فـ ﴿مَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾، فالمُقدَّر لابدَّ أن يكون، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ﴾ أي: القضاء قضاؤه، والأمر أمرُه، فما قضاه وحكم به لابدَّ أن يقع، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ﴾ أي: اعتمدت على اللَّه، لا على ما وصَّيتكم به من السَّبب، ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ فإنَّ بالتَّوكُّل يحصل كلُّ مَطلوبٍ، ويندفع كلُّ مَرهوبٍ.

﴿وَلَمَّا﴾ ذهبوا و﴿دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ﴾ ذلك الفعل ﴿يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ﴾، وهو موجب الشَّفقة والمحبَّة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طُمأنينةٍ وقضاءٍ لما في خاطره، وليس هذا قصورًا في علمه، فإنَّه من الرُّسل الكرام والعلماء الرَّبَّانيِّين، ولهذا قال عنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ﴾ أي: لصاحب علمٍ عظيمٍ ﴿لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: لتعليمنا إيَّاه، لا بحوله وقوَّته أدركه؛ بل بفضل اللَّه وتعليمه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ عواقب الأمور ودقائق الأشياء، وكذلك أهل العلم منهم، يخفى عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيءٌ كثيرٌ.

[٥٨-٦٨] ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

أي: لمَّا دخل إخوة يوسف على يوسف ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ﴾ أي: شقيقه وهو بنيامين الَّذي أمرهم بالإتيان به، وضمَّه إليه، واختصَّه من بين إخوته، وأخبره بحقيقة الحال، و ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ فإنَّ العاقبة خيرٌ لنا، ثمَّ خبَّره بما يريد أن يصنع ويتحيَّل لبقائه عنده إلى أن ينتهي الأمر.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي: كال لكلِّ واحدٍ من إخوته، ومن جملتهم أخوه هذا، ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ وهو: الإناء الَّذي يُشرَب به، ويُكالُ فيه ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ﴾ أوعوا متاعهم، فلمَّا انطلقوا ذاهبين، ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ولعلَّ هذا المُؤذِّن لم يعلم بحقيقة الحال.

﴿ قَالُوا۟ ﴾ أي: إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾ لإبعاد التُّهمة، فإنَّ السَّارق ليس له همٌّ إلَّا البعد والانطلاق عمَّن سرق منه، لتسلم له سرقته، وهؤلاء جاءوا مُقبِلين إليهم، ليس لهم همٌّ إلَّا إزالة التُّهمة الَّتي رُمُوا بها عنهم، فقالوا في هذه

الحال: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾؟ ولم يقولوا: (مَا الَّذِي سَرَقْنَا؟)؛ لجزمهم بأنَّهم براءٌ من السَّرقة.

﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي: أُجرةً له على وجدانه ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ أي: كفيلٌ، وهذا يقوله المُؤذِّن المُتفقِّد، ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بجميع أنواع المعاصي، ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾، فإنَّ السَّرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنَّما أقسموا على علمهم أنَّهم ليسوا مُفسِدين ولا سارقين؛ لأنَّهم عرفوا أنَّهم سبروا من أحوالهم ما يدلُّهم على عفَّتِهم وورعهم، وأنَّ هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتَّهموهم، وهذا أبلغ في نفي التُّهمة من أن لو قالوا: (تاللَّه لم نُفسد في الأرض ولم نسرق).

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي: جزاء هذا الفعل ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾ بأن كان معكم؟ ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ﴾ أي: الموجود في رحله ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ بأن يتملَّكه صاحب السَّرقة، وكان هذا في دينهم أنَّ السَّارق إذا ثبتت عليه السَّرقة كان ملكًا لصاحب المال المسروق، ولهذا قالوا: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿فَبَدَأَ﴾ المُفتِّش ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ وذلك لتزول الرِّيبة الَّتي يُظَنُّ أنَّها فُعِلت بالقصد، فلمَّا لم يجد في أوعيتهم شيئًا ﴿ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ ولم يقل: (وجدها)، أو (سرقها أخوه) مُراعاةً للحقيقة الواقعة.

فحينئذٍ تمَّ ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجهٍ لا يشعر به إخوته، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: يسَّرنا له هذا الكيد، الَّذي توصَّل به إلى أمرٍ غير مذموم، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾؛ لأنَّه ليس من دينه أن يُتملَّك السَّارق، وإنَّما له عندهم جزاءٌ آخر، فلو رُدَّت الحكومة إلى دين الملك لم يتمكَّن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنَّه جعل الحكم منهم، ليتمَّ له ما أراد.

قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالعلم النَّافع، ومعرفة الطُّرق الموصلة إلى مَقصِدها، كما رفعنا درجات يوسف، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾، فكلُّ

عالمٍ فوقه من هو أعلم منه، حتَّىٰ ينتهي العلم إلىٰ عالم الغيب والشَّهادة.

فلمَّا رأىٰ إخوة يوسف ما رأوا ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾ هذا الأخ فليس هذا غريبًا منه، ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ يعنون: يوسف عليه السلام، ومقصودهم تبرئة أنفسهم وأنَّ هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السَّرقة، وهما ليسا شقيقين لنا.

وفي هذا من الغضِّ عليهما ما فيه، ولهذا أسرَّها ﴿يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾ أي: لم يقابلهم علىٰ ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسرَّ الأمر في نفسه، و﴿قَالَ﴾ في نفسه ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾ حيث ذممتمونا بما أنتم علىٰ أشرَّ منه، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ منَّا، من وصفنا بالسَّرقة، يعلم اللَّه أنَّا براءٌ منها.

ثمَّ سلكوا معه مسلك التَّملُّق، لعلَّه يسمح لهم بأخيهم، فـ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ أي: وإنَّه لا يصبر عنه، وسيشُقُّ عليه فراقه، ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾ فأحسن إلينا وإلىٰ أبينا بذلك، فـ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ أي: هذا ظلمٌ منَّا، لو أخذنا البريء بذنبِ من وجدنا متاعنا عنده، ولم يقل: (من سرق)، كلُّ هذا تحرُّزٌ من الكذب، ﴿إِنَّآ إِذٗا﴾ أي: إن أخذنا غير من وُجِد في رحله ﴿لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾ حيث وضعنا العقوبة في غير موضعها.

[٨٠-٨٣] ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾.

أي: فلمَّا استيأس إخوة يوسف من يوسف أن يسمح لهم بأخيهم ﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ أي: اجتمعوا وحدهم، ليس معهم غيرهم، وجعلوا يتناجون فيما بينهم،

فـ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في حفظه، وأنَّكم تأتون به إلَّا أن يُحاطَ بكم ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾، فاجتمع عليكم الأمران، تفريطكم في يوسف السَّابق، وعدم إتيانكم بأخيه باللَّاحق، فليس لي وجهٌ أواجه به أبي، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: سأقيم في هذه الأرض ولا أزال بها ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ أي: يُقدِّر لي المجيء وحدي، أو مع أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

ثمَّ وصَّاهم بما يقولون لأبيهم، فقال: ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ أي: وأُخِذ بسرقته، ولم يحصل لنا أن نأتيك به، مع ما بذلنا من الجهد في ذلك، والحال أنَّا ما شهدنا بشيءٍ لم نعلمه، وإنَّما شهدنا بما علمنا؛ لأنَّنا رأينا الصُّواع استُخرِج من رحله، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: لو كنَّا نعلم الغيب لما حرصنا وبذلنا المجهود في ذهابه معنا، ولما أعطيناك عهودنا ومواثيقنا، فلم نظنَّ أنَّ الأمر سيبلغ ما بلغ.

﴿وَسْـَٔلِ﴾ إن شككت في قولنا ﴿ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ فقد اطَّلعوا على ما أخبرناك به، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لم نكذب، ولم نُغيِّر، ولم نُبدِّل؛ بل هذا الواقع.

فلمَّا رجعوا إلى أبيهم وأخبروه بهذا الخبر، اشتدَّ حزنه وتضاعف كَمَدُه، واتَّهمهم أيضًا في هذه القضيَّة كما اتَّهمهم في الأولى، و﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: ألجأ في ذلك إلى الصَّبر الجميل، الَّذي لا يصحبه تسخُّطٌ ولا جزَعٌ، ولا شكوًى للخلق، ثمَّ لجأ إلى حصول الفرج لمَّا رأى أنَّ الأمر اشتدَّ والكُربة انتهت فقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ أي: يوسف، وبنيامين، وأخوهم الكبير الَّذي أقام في مصر، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ الَّذي يعلم حالي، واحتياجي إلى تفريجه ومِنَّته، واضطراري إلى إحسانه، ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ الَّذي جعل لكلِّ شيءٍ قدرًا، ولكلِّ أمرٍ مُنتهًى، بحسب ما اقتضته حكمته الرَّبَّانيَّة.

[٨٤-٨٦] ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

أي: وتولَّىٰ يعقوب -عليه الصلَّاة والسلَّام- عن أولاده بعد ما أخبروه هذا الخبر، واشتدَّ به الأسف والأسىٰ، وابيضَّت عيناه من الحزن الَّذي في قلبه، والكَمَدِ الَّذي أوجب له كثرة البكاء، حيث ابيضَّت عيناه من ذلك، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ أي: ممتلئ القلب من الحزن الشَّديد، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي: ظهر منه ما كمن من الهمِّ القديم، والشَّوق المُقيم، وذكَّرته هذه المصيبة الخفيفة بالنِّسبة للأولىٰ، المصيبة الأولىٰ.

فقال له أولاده مُتعجِّبين من حاله: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي: لا تزال تذكر يوسف في جميع أحوالك، ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: فانيًا لا حراك فيك ولا قدرة علىٰ الكلام، ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: لا تترك ذكره مع قدرتك علىٰ ذكره أبدًا.

﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾ أي: ما أبُثُّ من الكلام ﴿وَحُزْنِىٓ﴾ الَّذي في قلبي ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحده، لا إليكم ولا إلىٰ غيركم من الخلق، فقولوا ما شئتم، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ من أنَّه سيرُدُّهم عليَّ ويُقِرُّ عيني بالاجتماع بهم.

[٨٧-٨٨] ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

أي: قال يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: احرصوا واجتهدوا علىٰ التَّفتيش عنهما، ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ فإنَّ الرَّجاء يوجب للعبد السَّعي والاجتهاد فيما رجاه، والإياس: يوجب له التَّثاقل والتَّباطؤ،

وأولىٰ ما رجا العباد فضلُ اللَّه وإحسانُه ورحمتُه وروحُه، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ فإنَّهم لكُفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدةٌ منهم، فلا تتشبَّهوا بالكافرين.

ودلَّ هذا علىٰ أنَّه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤُه لرحمة اللَّه ورَوحِه، فذهبوا ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ أي: علىٰ يوسف ﴿قَالُوا۟﴾ مُتضرِّعين إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ أي: قد اضطُررنا نحن وأهلنا ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ أي: مَدفوعةٍ مَرغوبٍ عنها لِقلَّتِها، وعدم وقوعها الموقع، ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ أي: مع عدم وفاء العرَضِ، وتصدَّق علينا بالزِّيادة عن الواجب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ بثواب الدُّنيا والآخرة، فلمَّا انتهىٰ الأمر، وبلغ أشُدَّه، رقَّ لهم يوسف رقَّةً شديدةً، وعرَّفهم بنفسه، وعاتبهم.

[٨٩-٩٢] ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أمَّا يوسف فظاهرٌ فعلُهم فيه، وأمَّا أخوه فلعلَّه واللَّه أعلم قولُهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾، أو أنَّ الحادث الَّذي فرَّق بينه وبين أبيه هم السَّبب فيه، والأصل المُوجب له، ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾، وهذا نوع اعتذارٍ لهم بجهلهم، أو توبيخٍ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين مع أنَّه لا ينبغي ولا يليق منهم.

فعرفوا أنَّ الَّذي خاطبهم هو يوسف، فـ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ﴾ بالإيمان والتَّقوىٰ والتَّمكين في الدُّنيا، وذلك بسبب الصَّبر والتَّقوىٰ، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ أي: يتَّقي فعل ما حرَّم اللَّه، ويصبر علىٰ الآلام والمصائب، وعلىٰ الأوامر بامتثالها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ فإنَّ هذا من الإحسان، واللَّه لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: فضَّلك علينا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا علىٰ إيصال الأذىٰ إليك، والتَّبعيد لك عن أبيك، فآثرك الله تعالىٰ ومكنَّك ممَّا تريد ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾، وهذا غاية الاعتراف منهم بالجُرم الحاصل منهم علىٰ يوسف.

فـ﴿قَالَ﴾ لهم يوسف عليه السلام كرمًا وجودًا: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ أي: لا أُثَرِّبُ عليكم ولا ألومكم، ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾، فسمح لهم سماحًا تامًّا، من غير تعييرٍ لهم علىٰ ذكر الذَّنب السَّابق، ودعا لهم بالمغفرة والرَّحمة، وهذا نهاية الإحسان، الَّذي لا يتأتَّىٰ إلَّا من خَواصِّ الخلق وخيار المُصطفين.

[٩٣-٩٨] ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾.

أي: قال يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾؛ لأنَّ كلَّ داءٍ يُداوىٰ بضِدِّه، فهذا القميص -لمَّا كان فيه أثر ريح يوسف، الَّذي أودع قلب أبيه من الحزن والشَّوق ما اللَّه به عليمٌ- أراد أن يشُمَّه، فترجع إليه روحه، وتتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، وللَّه في ذلك حِكَمٌ وأسرارٌ، لا يطَّلع عليها العباد، وقد أطلَعَ يوسف من ذلك علىٰ هذا الأمر، ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ أي: أولادكم وعشيرتكم وتوابعكم كلِّهم، ليحصل تمام اللِّقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرِّزق.

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ عن أرض مصر مُقبلةً إلىٰ أرض فلسطين، شمَّ يعقوب ريح القميص، فقال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ أي: تسخرون منِّي، وتزعمون أنَّ هذا الكلام صدر منِّي من غير شعورٍ؛ لأنَّه رأىٰ منهم من التَّعجُّب من حاله ما أوجب له هذا القول، فوقع ما ظنَّه بهم فـ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ أي: لا تزال تائهًا في بحر الحبِّ لا تدري ما تقول.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ بقرب الاجتماع بيوسف وإخوته وأبيهم، ﴿أَلْقَىٰهُ ﴾ أي: القميص ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ ﴾ أي: رجع علىٰ حاله الأولىٰ بصيرًا، بعد أن ابيضَّت عيناه من الحزن، فقال لمن حضره من أولاده وأهله الَّذين كانوا يُفنِّدون رأيه، ويتعجَّبون منه مُنتصرًا عليهم، مُتبجِّحًا بنعمة اللَّه عليه: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾؟ حيث كنت مُترجِّيًا للقاء يوسف، مُترقِّبًا لزوال الهمِّ والغمِّ والحزن، فأقرُّوا بذنبهم، ونجعوا بذلك، و﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ حيث فعلنا معك ما فعلنا.

فـ﴿قَالَ﴾ مُجيبًا لطِلبتهم، ومُسرعًا لإجابتهم: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ أي: ورجائي به أن يغفر لكم ويرحمكم، ويتغمَّدكم برحمته، وقد قيل: إنَّه أخَّر الاستغفار لهم إلىٰ وقت السَّحر الفاضل؛ ليكون أتمَّ للاستغفار، وأقرب للإجابة.

[٩٩-١٠٠] ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ .

أي: ﴿فَلَمَّا﴾ تجهَّز يعقوب وأولاده وأهلهم أجمعون، وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلىٰ يوسف في مصر وسكناها، فلمَّا وصلوا إليه، و ﴿دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ أي: ضمَّهما إليه، واختصَّهما بقُربه، وأبدىٰ لهما من البرِّ والإكرام والتَّبجيل والإعظام شيئًا عظيمًا، ﴿وَقَالَ ﴾ لجميع أهله: ﴿ٱدْخُلُواْ

مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السَّارَّة، وزال عنهم النَّصب ونكد المعيشة، وحصل السُّرور والبهجة.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: على سرير الملك، ومجلس العزيز، ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ أي: أبوه، وأمُّه وإخوته، سجودًا على وجه التَّعظيم والتَّبجيل والإكرام، ﴿وَقَالَ﴾ لمَّا رأى هذه الحال، ورأى سجودهم له: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ﴾ حين رأى أحد عشر كوكبًا والشَّمس والقمر له ساجدين، فهذا وقوعها الَّذي آلت إليه ووصلت، ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ فلم يجعلها أضغاث أحلام.

﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ إحسانًا جسيمًا ﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السِّجن، ولم يذكر حاله في الجُبِّ؛ لتمام عفوه عن إخوته، وأنَّه لا يذكر ذلك الذَّنب، وأنَّ إتيانكم من البادية من إحسان اللَّه إليَّ.

فلم يقل: (جاء بكم من الجوع والنَّصب)، ولا قال: (أحسن بكم)؛ بل قال: ﴿أَحۡسَنَ بِيٓ﴾، جعل الإحسان عائدًا إليه، فتبارك من يختصُّ برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمةً إنَّه هو الوهَّاب.

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ فلم يقل: (نزغ الشَّيطان إخوتي)؛ بل كأنَّ الذَّنب والجهل صدر من الطَّرفين، فالحمد للَّه الَّذي أخزى الشَّيطان ودحَرَه، وجمعنا بعد تلك الفُرقة الشَّاقَّة، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ يوصل برَّه وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرَّفيعة من أمورٍ يكرهها، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ الَّذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المُقدَّرة لها.

[١٠١] ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

لمَّا أتمَّ اللَّه ليوسف ما أتمَّ من التَّمكين في الأرض والملك، وأقرَّ عينه بأبويه

وإخوتـه، وبعـد العلـم العظيـم الَّذي أعطـاه اللَّـه إيَّاه، قـال مُقِـرًّا بنعمة اللَّه، شـاكرًا لهـا، داعيًـا بالثَّبات علىٰ الإسـلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ وذلك أنَّـه كان علىٰ خزائـن الأرض وتدبيرهـا ووزيـرًا كبيـرًا للملـك، ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي: مـن تأويـل أحاديـث الكتـب المُنزَّلـة، وتأويـل الرُّؤيـا، وغيـر ذلك مـن العلم، ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ أي: أدِمْ علـيَّ الإسـلام، وثبِّتنـي عليـه حتَّىٰ توفَّانـي عليه، ولـم يكن هـذا دعاءًا باسـتعجال الموت، ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ مـن الأنبيـاء الأبـرار والأصفيـاء الأخيـار.

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

لمَّـا قـصَّ اللَّـه هـذه القصَّـة علىٰ محمَّـدٍ ﷺ قـال اللَّـه لـه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإنبـاء الَّذي أخبرنـاك بـه ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ الَّذي لـولا إيحاؤنا إليـك لما وصل إليـك هذا الخبر الجليـل، فإنَّـك لم تكـن حاضرًا لديهـم ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ أي: إخوة يوسـف ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ بـه حيـن تعاقـدوا علـىٰ التَّفريـق بينه وبين أبيه فـي حالـةٍ لا يطَّلع عليها إلَّا اللَّـه تعالـىٰ، ولا يمكـن أحـدًا أن يصـل إلىٰ علمهـا إلَّا بتعليـم اللَّه لـه إيَّاها؛ كما قـال تعالـىٰ لمَّـا قصَّ قصَّة موسـىٰ وما جـرىٰ له، ذكـر الحـال الَّتي لا سـبيل للخلق إلـىٰ علمهـا إلَّا بوحيـه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ الآيـات، فهـذا أدلُّ دليـلٍ علـىٰ أنَّ مـا جاء بـه رسـول اللَّه حقٌّ.

[١٠٣-١٠٧] ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

يقـول تعالـىٰ لنبيِّـه محمَّـدٍ ﷺ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ علـىٰ إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾، فـإنَّ مَداركهـم ومَقاصدهـم قـد أصبحـت فاسـدةً، فـلا ينفعهـم حـرص النَّاصحيـن عليهـم ولـو عُدمـت الموانع، بـأن كانـوا يُعلِّمونهـم ويدعونهم

إلىٰ ما فيه الخير لهم، ودفع الشَّرِّ عنهم، من غير أجرٍ ولا عِوَضٍ، ولو أقاموا لهم من الشَّواهد والآيات الدَّالَّات علىٰ صدقهم ما أقاموا، ولهذا قال: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾، يتذكَّرون به ما ينفعهم ليفعلوه، وما يضرُّهم ليتركوه.

﴿وَكَأَيِّن﴾ أي: وكم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ دالَّةٍ لهم علىٰ توحيد اللَّه ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، ومع هذا إن وُجِد منهم بعض الإيمان فلا ﴿يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ فهم وإن أقرُّوا بربوبيَّة اللَّه تعالىٰ، وأنَّه الخالق الرَّازق المُدبِّر لجميع الأمور، فإنَّهم يُشركون في ألوهيَّة اللَّه وتوحيده، فهؤلاء الَّذين وصلوا إلىٰ هذه الحال لم يبق عليهم إلَّا أن يحِلَّ بهم العذاب، ويفجأهم العقاب وهم آمنون، ولهذا قال: ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟﴾ أي: الفاعلون لتلك الأفعال، المُعرضون عن آيات اللَّه ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابٌ يغشاهم ويعُمُّهم ويستأصِلُهم، ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: فجأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ أي: فإنَّهم قد استوجبوا لذلك، فليتوبوا إلىٰ اللَّه، ويتركوا ما يكون سببًا في عقابهم.

[١٠٨-١٠٩] ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

يقول تعالىٰ لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ﴾ للنَّاس ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي: طريقي الَّتي أدعو إليها، وهي السَّبيل الموصلة إلىٰ اللَّه وإلىٰ دار كرامته، المُتضمِّنة للعلم بالحقِّ، والعمل به، وإيثاره، وإخلاص الدِّين للَّه وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: أحثُّ الخلق والعباد إلىٰ الوصول إلىٰ ربِّهم، وأُرغِّبهم في ذلك وأُرهِّبهم ممَّا يُبعدُهم عنه.

ومع هذا فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: علىٰ علمٍ ويقينٍ، من غير شكٍّ ولا

امتراءٍ ولا مِريَةٍ، ﴿وَ﴾ كذلك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾ يدعو إلىٰ اللَّه كما أدعو علىٰ بصيرةٍ من أمره، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عمَّا نُسِب إليه ممَّا لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ في جميع أموري؛ بل أعبد اللَّه مُخلصًا له الدِّين.

ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي: لم نرسل ملائكةً ولا غيرهم من أصناف الخلق، فلأيِّ شيءٍ يستغرب قومك رسالتك، ويزعمون أنَّه ليس لك عليهم فضلٌ، فلك فيمن قبلك من المرسلين أسوةٌ حسنةٌ، ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي: لا من البادية؛ بل من أهل القرىٰ الَّذين هم أكمل عقولًا، وأصحُّ آراءً، وليتبيَّن أمرُهم ويتَّضح شأنهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إذا لم يُصدِّقوا لقولك، ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كيف أهلكهم اللَّه بتكذيبهم، فاحذروا أن تقيموا علىٰ ما أقاموا عليه، فيصيبكم ما أصابهم، ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الجنَّة وما فيها من النَّعيم المُقيم، ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ اللَّه في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنَّ نعيم الدُّنيا مُنغَّصٌ مُنكَّدٌ مُنقطعٌ، ونعيم الآخرة تامٌّ كاملٌ، لا يفنىٰ أبدًا؛ بل هو علىٰ الدَّوام في تزايُدٍ وتواصُل، ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ أي: أفلا تكون لكم عقولٌ تُؤثِرُ الَّذي هو خيرٌ علىٰ الأدنىٰ.

[١١٠-١١١] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

يُخبر تعالىٰ أنَّه يُرسل الرُّسل الكِرام، فيُكذِّبهم القوم المُجرمون اللِّئام، وأنَّ اللَّه تعالىٰ يُمهلهم ليرجعوا إلىٰ الحقِّ، ولا يزال اللَّه يُمهلهم حتَّىٰ إنَّه تصل الحال إلىٰ غاية الشِّدَّة منهم علىٰ الرُّسل.

حتَّىٰ إنَّ الرُّسل -علىٰ كمال يقينهم، وشدَّة تصديقهم بوعد اللَّه ووعيده- ربَّما أنَّه يخطر بقلوبهم نوعٌ من الإياس، ونوعٌ من ضعف العلم والتَّصديق، فإذا بلغ

الأمر هذه الحال ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ وهم الرُّسل وأتباعهم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ أي: ولا يُرَدُّ عذابُنا عمَّن اجترم، وتجرَّأ على اللَّه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي: قصص الأنبياء والرُّسل مع قومهم، ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: يعتبرون بها، أهل الخير وأهل الشَّرِّ، وأنَّ من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامةٍ أو إهانةٍ، ويعتبرون بها أيضًا، ما للَّه من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنَّه اللَّه الَّذي لا تنبغي العبادة إلَّا له وحده لا شريك له.

وقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ أي: ما كان هذا القرآن الَّذي قصَّ اللَّه به عليكم من أنباء الغيب ما قصَّ من الأحاديث المُفتراة المُختلقة، ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السَّابقة، يوافقها ويشهد لها بالصِّحَّة، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه العباد من أصول الدِّين وفروعه، ومن الأدلَّة والبراهين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ فإنَّهم بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحقِّ وإيثاره يحصل لهم الهُدىٰ، وبما يحصل لهم من الثَّواب العاجل والآجل تحصل لهم الرَّحمة.

## فصلٌ

في ذكر شيءٍ من العِبَرِ والفوائد الَّتي اشتملت عليها هذه القصَّة العظيمة الَّتي قال اللَّه في أوَّلها: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ وقال في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ غير ما تقدَّم في مطاويها من الفوائد.

○ **فمن ذلك**: أنَّ هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التَّنقُّلات من حالٍ إلىٰ حالٍ، ومن مِحنةٍ إلىٰ مِحنةٍ، ومن مِحنةٍ إلىٰ مِنحةٍ ومنَّةٍ، ومن ذلٍّ إلىٰ عزٍّ، ومن رقٍّ إلىٰ ملكٍ، ومن فُرقةٍ وشتاتٍ إلىٰ اجتماعٍ وائتلافٍ، ومن حزنٍ إلىٰ سرورٍ، ومن رخاءٍ إلىٰ جدبٍ، ومن جدبٍ إلىٰ

رخاءٍ، ومن ضيقٍ إلىٰ سعةٍ، ومن إنكارٍ إلىٰ إقرارٍ، فتبارك من قصَّها فأحسنها، ووضَّحها، وبيَّنها.

○ **ومنها**: أنَّ فيها أصلًا لتعبير الرُّؤيا، وأنَّ علم التَّعبير من العلوم المُهمَّة الَّتي يُعطيها اللَّه من يشاء من عباده، وإنَّ أغلب ما تُبنىٰ عليه المُناسبة والمُشابهة في الاسم والصِّفة، فإنَّ رُؤيا يوسف الَّتي رأىٰ أنَّ الشَّمس والقمر وأحد عشر كوكبًا له ساجدين، وجه المُناسبة فيها: أنَّ هذه الأنوار هي زينة السَّماء وجمالُها، وبها مَنافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء زينةٌ للأرض وجمالٌ، وبهم يُهتدىٰ في الظُّلمات كما يُهتدىٰ بهذه الأنوار، ولأنَّ الأصل أبوه وأمُّه وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورًا وجُرمًا لما هو فرعٌ عنه، فلذلك كانت الشَّمس أمَّه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.

ومن المناسبة أنَّ الشَّمس لفظٌ مُؤنَّثٌ، فلذلك كانت أمَّه، والقمر والكواكب مُذكَّراتٌ، فكانت لأبيه وإخوته.

ومن المُناسبة أنَّ السَّاجد مُعظِّمٌ مُحترِمٌ للمَسجود له، والمَسجود له مُعظَّمٌ مُحترَمٌ، فلذلك دلَّ ذلك علىٰ أنَّ يوسف يكون مُعظَّمًا مُحترمًا عند أبويه وإخوته، ومن لازم ذلك أن يكون مُجتبًىٰ مُفضَّلًا في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾.

ومن المُناسبة في رؤيا الفتيين أنَّه أوَّل رؤيا الَّذي رأىٰ أنَّه يعصر خمرًا،أنَّ الَّذي يَعصِر في العادة يكون خادمًا لغيره، والعصر يُقصَد لغيره، فلذلك أوَّله بما يؤول إليه، أنَّه يسقي ربَّه، وذلك مُتضمِّنٌ لخروجه من السِّجن.

وأوَّل الَّذي رأىٰ أنَّه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطَّير منه بأنَّ جلدة رأسه ولحمه وما في ذلك من المخِّ، أنَّه هو الَّذي يحمله، وأنَّه سيبرُزُ للطُّيور بمحَلٍّ تتمكَّن من الأكل من رأسه، فرأىٰ من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته فيبرز للطُّيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلَّا بالصَّلب بعد القتل.

وأوَّل رُؤيا الملك للبقرات والسُّنبلات بالسِّنين المُخصبة، والسِّنين المُجدبة،

ووجه المُناسبة أنَّ الملك به ترتبط أحوال الرَّعيَّة ومصالحها، وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السِّنون بها صلاح أحوال الرَّعيَّة، واستقامة أمر المعاش أو عدمه، وأمَّا البقر فإنَّها تُحرَث الأرض عليها، ويُستقىٰ عليها الماء، وإذا أخصبت السَّنة سمنت، وإذا أجدبت صارت عجافًا، وكذلك السَّنابل في الخصب تكثر وتخضَرُّ، وفي الجدب تقِلُّ وتيبس، وهي أفضل غلال الأرض.

ومنها: ما فيها من الأدلة علىٰ صحة نبوة محمد صلىٰ الله عليه وسلم، حيث قصَّ علىٰ قومه هذه القصة الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحدا. يراه قومه بين أظهرهم صباحا ومساء، وهو أمِّيٌّ لا يخط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة، وما كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون.

ومنها: أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشىٰ مضرته، لقول يعقوب ليوسف ﴿يا بني لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ ومنها: أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره علىٰ وجه النصيحة لغيره لقوله: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ .

○ **ومنها**: أنَّ نعمة اللَّه علىٰ العبد نعمةٌ علىٰ من يتعلَّق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنَّه ربَّما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، ولمَّا تمَّت النِّعمة علىٰ يوسف حصل لآل يعقوب من العزِّ والتَّمكين في الأرض والسُّرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف.

○ **ومنها**: أنَّ العدل مَطلوبٌ في كلِّ الأمور، لا في معاملة السُّلطان رعيَّته ولا فيما دونه، حتَّىٰ في معاملة الوالد لأولاده، في المحبَّة والإيثار وغيره، وأنَّ في الإخلال بذلك يختلُّ عليه الأمر، وتفسد الأحوال، ولهذا لما قدَّم يعقوب يوسف في المحبَّة وآثره علىٰ إخوته جرىٰ منهم ما جرىٰ علىٰ أنفسهم، وعلىٰ أبيهم وأخيهم.

○ **ومنها**: الحذر من شؤم الذُّنوب، وأنَّ الذَّنب الواحد يستتبع ذنوبًا مُتعدِّدةً،

ولا يتمُّ لفاعله إلَّا بعدَّة جرائم، فإخوة يوسف لمَّا أرادوا التَّفريق بينه وبين أبيه احتالوا لذلك بأنواعٍ من الحيل، وكذبوا عدَّة مرَّاتٍ، وزوَّروا على أبيهم في القميص والدَّم الَّذي فيه، وفي إتيانهم عشاءً يبكون، ولا تستبعد أنَّه قد كثر البحث فيها في تلك المدَّة؛ بل لعلَّ ذلك اتَّصل إلى أن اجتمعوا بيوسف، وكلَّما صار البحث حصل من الإخبار بالكذب، والافتراء ما حصل، وهذا شؤم الذَّنب، وآثاره التَّابعة والسَّابقة واللَّاحقة.

○ **ومنها**: أنَّ العبرة في حال العبد بكمال النِّهاية، لا بنقص البداية، فإنَّ أولاد يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أوَّل الأمر ممَّا هو أكبر أسباب النَّقص واللَّوم، ثمَّ انتهى أمرهم إلى التَّوبة النَّصوح، والسَّماح التَّامِّ من يوسف ومن أبيهم، والدُّعاء لهم بالمغفرة والرَّحمة، وإذا سمح العبد عن حقِّه، فاللَّه خير الرَّاحمين.

ولهذا -في أصحِّ الأقوال- أنَّهم كانوا أنبياء؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذرِّيَّتُهم، وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ في رؤيا يوسف، أنَّه رآهم كواكب نيِّرةً، والكواكب فيها النُّور والهداية الَّذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنَّهم علماء هُداةٌ.

○ **ومنها**: ما منَّ اللَّه به على يوسف -عليه الصَّلاة والسَّلام- من العلم والحلم، ومكارم الأخلاق، والدَّعوة إلى اللَّه وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفوًا بادرهم به، وتمَّم ذلك بأن لا يُثرِّب عليهم ولا يُعيِّرهم به، ثمَّ برُّه العظيم بأبويه، وإحسانه لإخوته، بل لعموم الخلق.

○ **ومنها**: أنَّ بعض الشَّرِّ أهون من بعضٍ، وارتكاب أخفِّ الضَّررين أولى من ارتكاب أعظمهما، فإنَّ إخوة يوسف لمَّا اتَّفقوا على قتل يوسف أو إلقائه أرضًا، وقال قائلٌ منهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ كان قوله أحسن منهم وأخفَّ، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

○ **ومنها**: أنَّ الشَّيء إذا تداولته الأيدي وصار من جملة الأموال، ولم يُعلَم أنَّه كان على غير وجه الشَّرع، أنَّه لا إثم على من باشره ببيعٍ، أو شراءٍ، أو خدمةٍ، أو انتفاعٍ، أو استعمالٍ، فإنَّ يوسف عليه السلام باعه إخوته بيعًا حرامًا لا يجوز، ثمَّ ذهبت به السَّيَّارة إلى مصر فباعوه بها، وبقي عند سيِّده غلامًا رقيقًا، وسمَّاه اللَّه شراءً، وكان عندهم بمنزلة الغلام الرَّقيق المُكرَّم.

○ **ومنها**: الحذر من الخلوة بالنِّساء اللَّاتي يُخشى منهنَّ الفتنة، والحذر أيضًا من المحبَّة الَّتي يُخشى ضررُها، فإنَّ امرأة العزيز جرى منها ما جرى بسبب توحُّدِها بيوسف، وحبِّها الشَّديد له، الَّذي ما تركها حتَّى راودته تلك المُراودة، ثمَّ كذبت عليه فسُجِن بسببها مدَّةً طويلةً.

○ **ومنها**: أنَّ الهمَّ الذي همَّ به يوسف بالمرأة ثمَّ تركه للَّه ممَّا يقربه إلى اللَّه زُلفى؛ لأنَّ الهمَّ داعٍ من دواعي النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، وهو طبيعةق لأغلب الخلق، فلمَّا قابل بينه وبين محبَّة اللَّه وخشيته، غلبت محبَّة اللَّه وخشيته داعي النَّفس والهوى، فكان ممَّن ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾، ومن السَّبعة الَّذين يُظِلُّهم اللَّه في ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، أحدهم: «**رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**»، وإنَّما الهَمُّ الَّذي يُلام عليه العبدُ الهَمُّ الَّذي يُساكنه، ويصير عزمًا، وربَّما اقترن به الفعل.

○ **ومنها**: أنَّ من دخل الإيمانُ قلبَه، وكان مُخلِصًا للَّه في جميع أموره فإنَّ اللَّه يدفع عنه ببرهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع السُّوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاءٌ لإيمانه وإخلاصه؛ لقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ على قراءة من قرأها بكسر اللَّام، ومن قرأها بالفتح فإنَّه من إخلاص اللَّه إيَّاه، وهو مُتضمِّنٌ لإخلاصه هو بنفسه، فلمَّا أخلص عمله للَّه أخلصه اللَّه، وخلَّصه من السُّوء والفحشاء.

○ **ومنها**: أنَّه ينبغي للعبد إذا رأى محلًّا فيه فتنةٌ وأسباب معصيةٍ أن يفرَّ منه

ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكَّن من التَّخلُّص من المعصية؛ لأنَّ يوسف عليه السلام لما راودته الَّتي هو في بيتها فرَّ هاربًا يطلب الباب ليتخلَّص من شرِّها.

○ **ومنها**: أنَّ القرائن يُعمَل بها عند الاشتباه، فلو تخاصم رجلٌ وامرأته في شيءٍ من أواني الدَّار فما يصلح للرَّجل فإنَّه للرَّجل، وما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بيِّنةٌ، وكذا لو تنازع نجَّارٌ وحدَّادٌ في آلة حرفتهما من غير بيِّنةٍ، والعمل بالقافة في الأشباه والأثر من هذا الباب، فإنَّ شاهد يوسف شهد بالقرينة، وحكم بها في قَدِّ القميص، واستدلَّ بقدِّه من دُبُرِه على صدق يوسف وكذبها. وممَّا يدلُّ على هذه القاعدة أنَّه استدلَّ بوجود الصُّواع في رحل أخيه على الحكم عليه بالسَّرقة من غير بيِّنة شهادةٍ ولا إقرارٍ، فعلى هذا إذا وُجِد المَسروق في يد السَّارق -خصوصًا إذا كان معروفًا بالسَّرقة- فإنَّه يُحكَم عليه بالسَّرقة، وهذا أبلغ من الشَّهادة، وكذلك وجود الرَّجل يتقيَّأ الخمر، أو وجود المرأة الَّتي لا زوج لها ولا سيِّد حاملًا، فإنَّه يُقام بذلك الحَدُّ ما لم يقم مانعٌ منه، ولهذا سمَّى الله هذا الحاكم شاهدًا فقال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾.

○ **ومنها**: ما عليه يوسف من الجمال الظَّاهر والباطن، فإنَّ جماله الظَّاهر أوجب للمرأة الَّتي هو في بيتها ما أوجب، وللنِّساء اللَّاتي جمعتهنَّ حين لُمنَها على ذلك أن قطَّعن أيديهنَّ وقلن ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾، وأمَّا جماله الباطن فهو العفَّة العظيمة عن المعصية، مع وجود الدَّواعي الكثيرة لوقوعها، وشهادة امرأة العزيز والنِّسوة بعد ذلك ببراءته، ولهذا قالت امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾، وقالت بعد ذلك: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾، وقالت النِّسوة: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾.

○ **ومنها**: أنَّ يوسف عليه السلام اختار السِّجن على المعصية، فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتُلِي بين أمرين إمَّا فعل معصيةٍ وإمَّا عقوبةٍ دنيويَّةٍ أن يختار العقوبة الدُّنيويَّة على مواقعة الذَّنب الموجب للعقوبة الشَّديدة في الدُّنيا والآخرة، ولهذا من علامات الإيمان أن يكره العبد أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه اللَّه منه كما يكره

أن يُلقىٰ في النَّار.

○ **ومنها**: أنَّه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلىٰ اللَّه ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرَّأ من حوله وقوَّته؛ لقول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾.

○ **ومنها**: أنَّ العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلىٰ الخير، وينهيانه عن الشَّرِّ، وأنَّ الجهل يدعو صاحبه إلىٰ موافقة هوىٰ النَّفس، وإن كان معصيةً ضارًّا لصاحبه.

○ **ومنها**: أنَّه كما علىٰ العبد عبوديَّةٌ للَّه في الرَّخاء، فعليه عبوديَّةٌ له في الشِّدَّة، فـ يوسف عليه السلام لم يزل يدعو إلىٰ اللَّه، فلمَّا دخل السِّجن استمرَّ علىٰ ذلك، ودعا الفتيين إلىٰ التَّوحيد، ونهاهما عن الشِّرك، ومن فطنته عليه السلام أنَّه لمَّا رأىٰ فيهما قابليَّةً لدعوته حيث ظنَّا فيه الظَّنَّ الحسن وقالا له: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ وأتياه لأن يَعبُر لهما رؤياهما، فرآهما مُتشوِّفين لتعبيرها عنده رأىٰ ذلك فرصةً فانتهزها، فدعاهما إلىٰ اللَّه تعالىٰ قبل أن يعبُر رؤياهما ليكون أنجح لمَقصوده، وأقرب لحصول مَطلوبه، وبيَّن لهما أوَّلًا أنَّ الَّذي أوصله إلىٰ الحال الَّتي رأياه فيها من الكمال والعلم إيمانُه وتوحيدُه، وتركه ملَّة من لا يؤمن باللَّه واليوم الآخر، وهذا دعاءٌ لهما بالحال، ثمَّ دعاهما بالمَقال، وبيَّن فساد الشِّرك وبرهن عليه، وحقيقة التَّوحيد وبرهن عليه.

○ **ومنها**: أنَّه يُبدأ بالأهمِّ فالأهمِّ، وأنَّه إذا سُئِل المُفتي، وكان السَّائل حاجته في غير سؤاله أشدَّ أنَّه ينبغي له أن يُعلِّمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإنَّ هذا علامةٌ علىٰ نُصح المُعلِّم وفِطنَتِه، وحُسن إرشاده وتعليمه، فإنَّ يوسف لمَّا سأله الفتيان عن الرُّؤيا قدَّم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلىٰ اللَّه وحده لا شريك له.

○ **ومنها**: أنَّ من وقع في مَكروهٍ وشدَّةٍ لا بأس أن يستعين بمن له قدرةٌ علىٰ تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأنَّ هذا لا يكون شكوىٰ للمَخلوق، فإنَّ هذا من الأمور العاديَّة الَّتي جرىٰ العرف باستعانة النَّاس بعضهم ببعضٍ، ولهذا قال

يوسف للَّذي ظنَّ أنَّه ناجٍ من الفتيين: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾.

○ **ومنها**: أنَّه ينبغي ويتأكَّد على المُعلِّم استعمال الإخلاص التَّامِّ في تعليمه، وأن لا يجعل تعليمه وسيلةً لمُعاوضة أحدٍ في مالٍ أو جاهٍ أو نفعٍ، وأن لا يمتنع من التَّعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السَّائل ما كلَّفه به المُعلِّم، فإنَّ يوسف عليه السلام قد قال، ووصَّى أحد الفتيين أن يذكره عند ربِّه، فلم يذكره ونسي، فلمَّا بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى، وجاءه سائلًا مُستفتيًا عن تلك الرُّؤيا، فلم يُعنِّفه يوسف، ولا وبَّخه لتركه ذكره بل أجابه عن سؤاله جوابًا تامًّا من كلِّ وجهٍ.

○ **ومنها**: أنَّه ينبغي للمَسؤول أن يدلَّ السَّائل على أمرٍ ينفعه ممَّا يتعلَّق بسؤاله، ويُرشِده إلى الطَّريق الَّتي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإنَّ هذا من كمال نُصحِه وفِطنَتِه، وحُسنِ إرشادِه، فإنَّ يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك؛ بل دلَّهم مع ذلك على ما يصنعون في تلك السِّنين المُخصبات من كثرة الزَّرع، وكثرة جبايته.

○ **ومنها**: أنَّه لا يلُام الإنسان على السَّعي في دفع التُّهمة عن نفسه، وطلب البراءة لها، بل يُحمَد على ذلك؛ كما امتنع يوسف عن الخروج من السِّجن حتَّى تتبيَّن لهم براءته بحال النِّسوة اللَّاتي قطَّعن أيديهنَّ.

○ **ومنها**: فضيلة العلم، علم الأحكام والشَّرع، وعلم تعبير الرُّؤيا، وعلم التَّدبير والتَّربية؛ وأنَّه أفضل من الصُّورة الظَّاهرة ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإنَّ يوسف بسبب جماله حصلت له تلك المِحنة والسَّجن، وبسبب علمه حصل له العِزُّ والرِّفعة والتَّمكين في الأرض، فإنَّ كلَّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته.

○ **ومنها**: أنَّ علم التَّعبير من العلوم الشَّرعيَّة، وأنَّه يُثاب الإنسان على تعلُّمِه وتعليمه، وأنَّ تعبير المَرائي داخلٌ في الفتوى؛ لقوله للفتيين: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾، وقال الملك: ﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ﴾، وقال الفتى ليوسف:

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرُّؤيا من غير علمٍ.

○ **ومنها**: أنَّه لا بأس أن يُخبر الإنسان عمَّا في نفسه من صفات الكمال من علمٍ أو عملٍ إذا كان في ذلك مصلحةٌ، ولم يقصد به العبد الرِّياء، وسلم من الكذب؛ لقول يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾، وكذلك لا تُذَمُّ الولاية إذا كان المُتولِّي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق اللَّه وحقوق عباده، وأنَّه لا بأس بطلبها إذا كان أعظم كفاءةً من غيره، وإنَّما الَّذي يُذَمُّ إذا لم يكن فيه كفايةٌ، أو كان موجودًا غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يُرِد بها إقامة أمر اللَّه، فبهذه الأمور يُنهى عن طلبها، والتَّعرُّض لها.

○ **ومنها**: أنَّ اللَّه واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدُّنيا والآخرة، وأنَّ خير الآخرة له سببان: الإيمان والتَّقوى، وأنَّه خيرٌ من ثواب الدُّنيا ومُلكها، وأنَّ العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويُشوِّقها لثواب اللَّه، ولا يدعها تحزن إذا رأت أهل الدُّنيا ولذَّاتها، وهي غير قادرةٍ عليها، بل يُسلِّيها بثواب اللَّه الأُخرَوِيِّ، وفضله العظيم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

○ **ومنها**: أنَّ جباية الأرزاق إذا أريد بها التَّوسعة على النَّاس من غير ضررٍ يلحقهم لا بأس بها؛ لأنَّ يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السِّنين المُخصبات، للاستعداد للسِّنين المُجدبة، وأنَّ هذا غير مُناقضٍ للتَّوكُّل على اللَّه؛ بل يتوكَّل العبد على اللَّه، ويعمل بالأسباب الَّتي تنفعه في دينه ودنياه.

○ **ومنها**: حسن تدبير يوسف لمَّا تولَّى خزائن الأرض، حتَّى كثرت عندهم الغلَّات جدًّا حتَّى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها؛ لعلمهم بوفورها فيها، وحتَّى إنَّه كان لا يكيل لأحدٍ إلَّا مقدار الحاجة الخاصَّة أو أقلَّ، لا يزيد كلَّ قادمٍ على كيل بعيرٍ وحِملِه.

○ **ومنها**: مشروعيَّة الضِّيافة، وأنَّها من سُنن المرسلين، وإكرام الضَّيف؛ لقول يوسف لإخوته: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

○ **ومنها**: أنَّ سوء الظَّنِّ مع وجود القرائن الدَّالَّة عليه غير ممنوعٍ ولا مُحرَّمٍ،

فإنَّ يعقوب قال لأولاده بعد ما امتنع من إرسال يوسف معهم حتَّىٰ عالجوه أشدَّ المعالجة، ثمَّ قال لهم بعد ما أتوه وزعموا أنَّ الذِّئب أكله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، وقال لهم في الأخ الآخر: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾، ثمَّ لما احتبسه يوسف عنده، وجاء إخوته لأبيهم قال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فهم في الأخيرة وإن لم يكونوا مُفرِّطين فقد جرىٰ منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير إثمٍ عليه ولا حرجٍ.

○ **ومنها**: أنَّ استعمال الأسباب الدَّافعة للعين أو غيرها من المَكاره أو الرَّافعة لها بعد نزولها غير ممنوعٍ؛ بل جائزٌ، وإن كان لا يقع شيءٌ إلَّا بقضاءٍ وقدرٍ، فإنَّ الأسباب أيضًا من القضاء والقدر، لأمر يعقوب حيث قال لبنيه: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾.

○ **ومنها**: جواز استعمال المَكايِدِ الَّتي يُتوَصَّلُ بها إلىٰ الحُقوقِ، وأنَّ العلم بالطُّرق الخفيَّة الموصلة إلىٰ مقاصدها ممَّا يُحمَد عليه العبدُ، وإنَّما الممنوع التَّحيُّل علىٰ إسقاط واجبٍ، أو فعل مُحرَّمٍ.

○ **ومنها**: أنَّه ينبغي لمن أراد أن يوهِم غيره بأمرٍ لا يُحِبُّ أن يطلَّع عليه أن يستعمل المعاريض القوليَّة والفعليَّة المانعة له من الكذب؛ كما فعل يوسف حيث ألقىٰ الصُّواع في رحل أخيه، ثمَّ استخرجها منه، موهِمًا أنَّه سارقٌ، وليس فيه إلَّا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾، ولم يقل: (من سرق متاعنا)، وكذلك لم يقل: (إنَّا وجدنا متاعنا عنده)؛ بل أتىٰ بكلامٍ عامٍّ يصلح له ولغيره، وليس في ذلك مَحذورٌ، وإنَّما فيه إيهامٌ أنَّه سارقٌ ليحصل المقصود الحاضر، وأنَّه يبقىٰ عند أخيه وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبيَّنت الحال.

○ **ومنها**: أنَّه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلَّا بما علمه وتحقَّقه إمَّا بمشاهدةٍ أو خبرٍ من يثِقُ به، وتطمئنُّ إليه النَّفس؛ لقولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾.

○ **ومنها**: هذه المِحنة العظيمة الَّتي امتحن اللَّه بها نبيَّه وصَفِيَّه يعقوب عليه السلام،

حيث قضىٰ بالتَّفريق بينه وبين ابنه يوسف الَّذي لا يقدر علىٰ فراقه ساعةً واحدةً، ويُحزِنُه ذلك أشدَّ الحُزن، فحصل التَّفريق بينه وبينه مدَّةً طويلةً لا تقصر عن خمس عشرة سنةً، ويعقوب لم يفارق الحزنُ قلبَه في هذه المدَّةِ، ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾، ثمَّ ازداد به الأمر شدَّةً حين صار الفراق بينه وبين ابنه الثَّاني شقيق يوسف، هذا وهو صابرٌ لأمر اللَّه، مُحتسبٌ الأجر من اللَّه، قد وعد من نفسه الصَّبر الجميل، ولا شكَّ أنَّه وفَّىٰ بما وعد به، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى﴾، فإنذَ الشَّكوىٰ إلىٰ اللَّه لا تنافي الصَّبر، وإنَّما الَّذي ينافيه الشَّكوىٰ إلىٰ المخلوقين.

○ **ومنها**: أنَّ الفرج مع الكرب؛ وأنَّ مع العُسر يُسرًا، فإنَّه لمَّا طال الحزن علىٰ يعقوب واشتدَّ به إلىٰ أنهىٰ ما يكون، ثمَّ حصل الاضطرار لآل يعقوب ومسَّهم الضُّرُّ، أذن اللَّه حينئذٍ بالفرج، فحصل التَّلاقي في أشدِّ الأوقات إليه حاجةً واضطرارًا، فتمَّ بذلك الأجرُ وحصل السُّرورُ، وعُلِمَ من ذلك أنَّ اللَّه يبتلي أولياءه بالشِّدَّة والرَّخاء، والعُسر واليُسر؛ ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد بذلك إيمانُهم ويقينُهم وعِرفانُهم.

○ **ومنها**: جواز إخبار الإنسان بما يجِدُ، وما هو فيه من مرضٍ أو فقرٍ ونحوهما، علىٰ غير وجه التَّسخُّط؛ لأنَّ إخوة يوسف قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾، ولم يُنكر عليهم يوسف.

○ **ومنها**: فضيلة التَّقوىٰ والصَّبر، وأنَّ كلَّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة فمن آثار التَّقوىٰ والصَّبر، وأنَّ عاقبة أهلهما أحسن العواقب؛ لقوله: ﴿قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾.

○ **ومنها**: أنَّه ينبغي لمن أنعم اللَّه عليه بنعمةٍ بعد شدَّةٍ وفقرٍ وسوء حالٍ أن يعترف بنعمة اللَّه عليه، وأن لا يزال ذاكرًا حاله الأولىٰ، ليحدث لذلك شكرًا كلَّما ذكرها؛ لقول يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾.

❍ **ومنها**: لطف اللـه العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال، وأوصل إليه الشَّدائد والمِحَن ليوصله بها إلىٰ أعلىٰ الغايات ورفيع الدَّرجات.

❍ **ومنها**: أنَّه ينبغي للعبد أن يتملَّق إلىٰ اللَّه دائمًا في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل اللَّه حسن الخاتمة، وتمام النِّعمة؛ لقول يوسف -عليه الصَّلاة والسَّلام-: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

فهذا ما يسَّر اللَّه من الفوائد والعِبَرِ في هذه القصَّة المُباركَةِ، ولابدَّ أن يظهر للمُتدبِّر المُتفكِّر غير ذلك.

فنسأله تعالىٰ علمًا نافعًا، وعملًا مُتقبَّلًا، إنَّه جوادٌ كريمٌ.

**تمَّ تفسير سورة يوسف وأبيه وإخوته عليهم الصَّلاة والسَّلام،**

**والحمد لله ربِّ العالمين.**

## فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيَّيِ اللهِ يَعْقُوبَ ويُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

❍ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو إسرائيلُ الَّذي يُنسَبُ إليه بَنو إسرائيلَ، فهو أبوهم الأوَّلُ، ومع ذلِكَ فإنَّهم يَفتَرونَ عليه عدَّةَ افتِراءاتٍ في كُتُبِهم، مِنها أنَّهم زَعَموا أنَّه احتالَ لأَخذِ النُّبوَّةِ والبركَةِ مِن أبيهِ إسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لنَفسِهِ بدَلًا مِن أخيهِ العيصِ الَّذي كانَ أكبَرَ مِنه سنًّا وأَحَبَّ إلىٰ أبيهِ، وفي هذا قَدحٌ في يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونِسبَةٌ للجَهلِ الشَّديدِ والغَفلَةِ إلىٰ أبيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيه تَنَقُّصٌ مِن جَنابِ اللَّهِ تَعالىٰ الَّذي قالَ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾[الأنعام:١٢٤]، وهذا الَّذي وقَعَ مِنهم هُنا قد تكَرَّرَ مع كَثيرٍ مِن الأنبياءِ، فصارَ القَدحُ في الأنبياءِ سَجِيَّةً لهُم، ولهذا فإنَّنا كُلَّما قرَأنا في كِتابِ اللَّهِ تَعالىٰ وسُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ وكُتُبِ أهلِ العِلمِ المُحَقِّقينَ عن قَصَصِ الأنبياءِ ازدَدنا حُبًّا لهُم؛ بخِلافِ الإسرائيليَّاتِ فإنَّها تَزيدُ مَن طالَعَها بُغضًا في الأنبياءِ وبُعدًا عنهُم وعن دينِ اللَّهِ!

❍ مِن مَناقِبِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه لم يُذكَر كلامُه في مَوضِعٍ مِن مَواضِعِ القُرآنِ إلَّا ويَذكُرُ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فيه، وهذا دليلٌ علىٰ كثرَةِ ذِكرِهِ للهِ عَزَّوَجَلَّ وحُضورِهِ في قَلبِه، ومِن ذلِكَ قولُه تَعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾[البقرة]، وقولُهُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾[يوسف]، وقولُهُ: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾[يوسف].

❍ مِن مَناقِبِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثِقَتُه بربِّه وحُسنُ ظَنِّه به عَزَّوَجَلَّ، حيثُ إنَّه فقَدَ أحَبَّ بَنيه إليه يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمَّ أخاه، ومع ذلِكَ ظلَّ صابِرًا مُحتَسِبًا، وقالَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[يوسف]، وقالَ كذلِكَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾[يوسف].

❍ مِن حِكمَةِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحُسنِ تَدبيرِه أنَّه لمَّا بعَثَ بَنيه إلىٰ مِصرَ في المرَّةِ الثَّانِيَةِ أمَرَهم أن لا يَدخُلوا مِن بابٍ واحِدٍ فقال: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ

وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾، وذلِكَ خَوفًا عليهم مِن أن تُصيبَهُم العَينُ لِجمالِهم وحُسنِ هَيئَتِهم، وبيَّنَ لهُم أنَّ ذلِكَ لن يَرُدَّ قضاءَ اللَّهِ إذا جاءَ فالحُكمُ له وَحدَهُ، ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾، وأكَّدَ اللَّهُ ﷻ هذا المَعنىٰ فقالَ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾، وبيَّنَ حِكمَةَ يَعقوبَ عليه السلام وعِلمَه فقالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾[يوسف].

❍ قالَ العلَّامَةُ السِّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (ومِنها -أي: مِن الفَوائِدِ المُستنبَطَةِ مِن قِصَّةِ يوسُفَ عليه السلام-: أنَّ استِعمالَ الأسبابِ الدَّافِعَةِ للعَينِ أو غَيرِها مِن المَكارِهِ، أو الرَّافِعَةِ لها بعد نُزولِها = غَيرُ مَمنوعٍ؛ بل جائِزٌ، وإن كانَ لا يقَعُ شَيءٌ إلَّا بقَضاءٍ وقَدَرٍ، فإنَّ الأسبابَ أيضًا مِن القَضاءِ والقَدَرِ).

❍ أخرَجَ التِّرمذِيُّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ**»، ولا يُعلَمُ نَبِيٌّ ابنُ نَبِيٍّ ابنِ نَبِيٍّ ابنِ نبيٍّ غيرُ يوسُفَ عليه السلام.

❍ أفرَدَ اللهُ عز وجل سورَةً لقصَّةِ يوسُفَ عليه السلام، وسمَّاها باسمِهِ، وسمَّاها أحسَنَ القصَصِ، قالَ تَعالىٰ في أوَّلِها: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾[يوسف:٣]، ولعلَّ تَسمِيَتَها بأحسَنَ القصَصِ للأسبابِ الآتِيَةِ:

- أنَّها تحتَوي علىٰ عالَمٍ كامِلٍ مِن العِبَرِ والحِكَمِ الجَليلَةِ، ولهذا قالَ تَعالىٰ في آخِرِ السُّورَةِ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾[يوسف].
- أنَّ يوسُفَ عليه السلام تجاوَزَ عن إخوَتِه وصبَرَ علىٰ ما كانَ مِنهُم مِن أذًىٰ.
- أنَّ فيها ذِكرَ الأنبياءِ، والصَّالِحينَ، والعِفَّةِ، والغِوايَةِ، وسِيَرِ المُلوكِ، والمَمالِكِ، والرِّجالِ، والنِّساءِ، وحِيَلِ النِّساءِ ومَكرِهِنَّ، وفيها ذِكرُ التَّوحيدِ، والفِقهِ، وتَعبيرِ الرُّؤىٰ.
- أنَّ مَآلَ مَن ذُكِرَ فيها مِن أشخاصٍ كانَ إلىٰ السَّعادَةِ والنَّجاحِ.

❍ مِن اللَّطائِفِ أنَّ قِصَّةَ يوسُفَ عليه السلام فيما ذكَرَه اللهُ تعالىٰ في كِتابِه بدَأَت برُؤياه الَّتي قصَّها علىٰ أبيهِ، وانتَهت بتَعبيرِ هذه الرُّؤيا وسُجودِ أبَوَيهِ وإخوَتِهِ تحِيَّةً له.

❍ كانَت رُؤيا يوسُفَ عليه السلام بمَثابَةِ التَّوطِئَةِ لقِصَّتِه الطَّويلَةِ العَظيمَةِ، وهكَذا هي سُنَّةُ اللهِ سبحانه وتعالى في خَلقِه، أنَّه إذا أرادَ أمرًا مِن الأُمورِ العِظام قدَّمَ بينَ يَدَيهِ مُقدِّمةً تَوطِئَةً له، وتَسهيلًا لأَمرِه، واستِعدادًا لما يَرِدُ فيه علىٰ العَبدِ مِن المَشاقِّ، لُطفًا بعَبدِه، وإحسانًا إليه؛ كما حدَثَ مع النَّبيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عندما ذهَبَت به خَديجَةُ رضي الله عنها إلىٰ ورَقَةَ بنِ نَوفَل.

❍ يتبيَّنُ مِن قِصَّةِ يوسُفَ عليه السلام مَشروعِيَّةُ تَعبيرِ الرُّؤيا، وأنَّه مِن العُلومِ المُفيدَةِ الَّتي يُيَسِّرُها اللهُ سبحانه وتعالى لمَن يَشاءُ مِن عِبادِه، إذ كانَ في تَعبيرِ رُؤيا المَلِكِ صَلاحٌ لأهلِ مِصرَ خِلالَ السَّنَواتِ العِجافِ.

❍ لمَّا قصَّ يوسُفُ عليه السلام رُؤياه علىٰ أبيه قالَ له: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾[يوسف]، ويُستَفادُ مِن هذا مَشروعِيَّةُ كِتمانِ ما تُخشىٰ مَضَرَّتُه، حتَّىٰ ولو كانَ ذلِكَ مِن العِلمِ؛ كما قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لمُعاذٍ رضي الله عنه في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»، وفي حَديثِ الطَّبرانيِّ: «**اسْتَعِينُوا عَلَىٰ إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**».

❍ تَأويلُ الرُّؤيا فيه اجتِهادٌ مِنَ المُؤَوِّلِ وبِناءٌ للأُمورِ علىٰ المُناسَبَةِ والمُشابَهَةِ في الاسمِ والصِّفَةِ، قالَ السِّعديُّ رحمه الله في تَفسيرِ يوسُفَ عليه السلام لرُؤيا صاحِبَيه: (أوَّلَ رُؤيَا الَّذي رَأىٰ أنَّه يَعصِرُ خَمرًا أنَّ الَّذي يَعصِرُ في العادَةِ يكون خادِمًا لغَيرِه، والعَصرُ يُقصَدُ لغَيرِه، فلذلِكَ أوَّلَه بما يَؤولُ إليه، أنَّه يَسقي ربَّه، وذلِكَ مُتضَمِّنٌ لخُروجِه مِن السِّجنِ، وأوَّلَ الَّذي رَأىٰ أنَّه يحمِلُ فوقَ رَأسِه خُبزًا تأكُلُ الطَّيرُ مِنه بأنَّ جِلدَةَ رَأسِه ولَحمَه وما في ذلِكَ مِن المُخِّ أنَّه هو الَّذي يَحمِلُه، وأنَّه سيَبرُزُ للطُّيورِ، بمَحَلٍ تتمَكَّنُ مِن الأكلِ مِن رَأسِه، فرأىٰ مِن حالِه أنَّه سيُقتَلُ ويُصلَبُ بعدَ مَوتِه فيبرُزُ للطُّيورِ فتأكُلُ مِن رَأسِه، وذلِكَ لا يَكونُ إلَّا بالصَّلبِ بعدَ القَتل).

❍ جاءَ في رُؤيا يوسُفَ عليه السلام ما ذكَرَهُ بقَولِه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾، وتقدَّمَ أنَّ تَعبيرَها سُجودُ إخوَتِه ووالِدَيه تحِيَّةً له لمَّا أدخَلَهُم مِصرَ، حيثُ إنَّ إخوَتَه هم الكَواكِبُ، وذكَرَ بَعضُ المُفَسِّرينَ

أنَّ الشَّمسَ هي أُمُّه وأنَّ القَمَرَ هو أَبوهُ يَعقوبُ عليه السلام، واستدَلُّوا لذلِكَ بأنَّ القَمَرَ مُذكَّرٌ والشَّمسَ مُؤَنَّثةٌ، وبما أخرَجَهُ ابنُ حِبَّانَ والطَّبَرانِيُّ والبَيهَقيُّ عن صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها أنَّها كانَت نائِمَةً ورأسُها في حَجرِ زَوجِها ابنِ أبي الحُقَيقِ، قالت: «**فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حَجْرِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ**» فأوَّلَ زَوجُها رُؤياها، قالت: «**فَلَطَمَنِي، وَقَالَ: تَمَنِّينَ مَلِكَ يَثْرِبَ؟**» يَقصِدُ النَّبيَّ ﷺ، وكانَت رُؤياها حقًّا.

❍ ممَّا حمَلَ امرَأَةَ العَزيزِ علىٰ مُراوَدَةِ يوسُفَ عليه السلام عن نَفسِه تَوَحُّدُها معه واختِلاؤُها به، ولهذا نهىٰ اللهُ عز وجل عن الخَلوَةِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ فيما أخرَجَه أحمَدُ والتِّرمِذِيُّ وابنُ ماجَهْ: «**أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**».

❍ مِن سُنَنِ اللهِ عز وجل الكَونِيَّةِ أنَّ مَن آمَنَ به وأخلَصَ له في عِبادَاتِه ومُعامَلاتِه، فإنَّ اللهَ يدفَعُ عنه مِن أنواعِ السُّوءِ والفَحشاءِ وأسبابِ المَعاصي جَزاءَ ذلِكَ؛ كما في قصَّةِ يوسُفَ عليه السلام، قالَ تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾[يوسف]، بل ويرفَعُ عنه ما نزَلَ به مِن البَلاءِ؛ كما في قصَّةِ الثَّلاثَةِ الَّذينَ دخَلوا في الغارِ فسَدَّته عليهم الصَّخرَةُ فدَعَوُا اللهَ سبحانه وتعالى وتوسَّلوا بأعمالِهم الصَّالِحَةِ ففُرِجَت الصَّخرَةُ، والحَديثُ مُتَّفقٌ عليه.

❍ وَصَفَ النِّسوَةُ يوسُفَ عليه السلام بالحُسنِ ظاهِرًا وباطِنًا، فأمَّا الظَّاهِرُ فقَولُهم: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾[يوسف]، وقد قالَ ﷺ كما عندَ مُسلِمٍ: «**أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ**» أي: نِصفَه، وأمَّا الباطِنُ فقَولُهم: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾[يوسف:٥١].

❍ لمَّا تبيَّنَ للنِّسوَةِ جَمالُ يوسُفَ الظَّاهِرُ، وأُعجِبنَ به قُلنَ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾[يوسف]، فظَهَرَ مِنهُنَّ العُذرُ لامرَأَةِ العَزيزِ، وانقَطَعَ لَومُهُنَّ لها، ولهذا أرادَت أن تُرِيَهُنَّ جمالَه الباطِنَ بالعِفَّةِ التَّامَّةِ فقالَت مُصَرِّحَةً: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾.

❍ اختارَ يوسُفُ عليه السلام السِّجنَ علىٰ المَعصِيَةِ، وهكَذا ينبَغي لكُلِّ مُسلِمٍ إذا خُيِّرَ بينَ المَعصِيَةِ الموجِبَةِ للعُقوبَةِ الأُخرَوِيَّةِ وبين العُقوبَةِ الدُّنيَوِيَّةِ أن يَختارَ العُقوبَةَ العاجِلَةَ.

❍ ينبَغي للدَّاعي إلىٰ اللهِ أن يتصَيَّدَ الفُرَصَ في دَعوَتِه كما فعَلَ يوسُفُ عليه السلام حين سأَلَه صاحِباهُ في السِّجنِ تَأويلَ رُؤياهما، فإنَّه لمَّا أحَسَّ مِنهما القابليَّةَ للدَّعوَةِ طَمأنَهما أنَّه سيَعبُرُ رُؤياهما بقَولِه: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ﴾، ثمَّ جعَلَ يَدعوهُما إلىٰ التَّوحيدِ مُبتَدِئًا بقَولِه: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾[يوسف].

❍ لمَّا رَأىٰ يوسُفُ عليه السلام أنَّ أحَدَ الفَتيَينِ يَنجو أوصاه أن يذكُرَه عند سَيِّدِه، لعلَّ ذلِكَ يَكونُ سببًا لخُروجِه مِن السَّجنِ، فيُستَفادُ مِن هذا جَوازُ الاستِعانَةِ بالغَيرِ لمَن أصابَه كَربٌ، وليسَ ذلِكَ مِن الشَّكوىٰ المَكروهَةِ، وتقدَّمَ أنَّ الفَتىٰ نَسِيَ فلم يذكُره، ثمَّ لمَّا قصَّ المَلِكُ علىٰ النَّاسِ رُؤياهُ وعجَزوا عن تَأويلِها تذكَّرَ الفَتىٰ وجاءَ إلىٰ يوسُفَ يستَفتيه في ذلِكَ، فلم يُنكِر عليه يوسُفُ عليه السلام نِسيانَه إيَّاه، ولم يُعَنِّفه؛ بل أجابَه جَوابًا تامًّا عن سُؤالِه، وهذا مِن تمامِ الإخلاصِ في تَعليمِ النَّاسِ وإرادَةِ الخَيرِ لهم.

❍ مِن لُطفِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ بيُوسُفَ عليه السلام أن عرَضَ المَلِكُ الرُّؤيا علىٰ مَلَإِه قبلَ فعَجَزوا عن تَأويلِها قبلَ أن يُؤَوِّلَها يوسُفُ عليه السلام، فإنَّه لو عبَرَها ابتِداءً لم يكُن لها ذلِكَ المَوقِعُ، فلمَّا عجَزوا عن تَأويلِها زادَ اهتِمامُ المَلِكِ بها، فلمَّا عبَرَها يوسُفُ عليه السلام وقَعَت مَوقِعًا عَظيمًا، وهذا نَظيرُ سُؤالِ اللهِ عزوجل الملائِكَةَ عن الأسماءِ قبلَ سُؤالِه آدَمَ عليه السلام، فلمَّا عجَزَت الملائِكَةُ وعلَّمَهم آدَمُ عليه السلام أسماءَ كلِّ شَيءٍ حصَلَ بذَلِكَ زِيادَةُ فَضلِه، وهو ما أرادَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ بيانَه لهم، وكما يَظهَرُ فَضلُ أفضَلِ الخَلقِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم يومَ القِيامَةِ، عندَما يُلهِمُ اللهُ سبحانه وتعالىٰ الخَلقَ أن يستَشفِعوا بآدَمَ، ثمَّ بنوح، ثمَّ بإبراهيمَ، ثمَّ بموسىٰ، ثمَّ بعيسىٰ عليهم السلام، فيَعتَذِرونَ عنها، ثمَّ يَأتونَ محمَّدًا صلى الله عليه وسلم فيَقولُ: «**أَنَا لَهَا**». مُتَّفَقٌ عليه.

❍ ينبَغي للمُسلِمِ أن يسعىٰ في دَفعِ التُّهمَةِ عن نَفسِه متىٰ قدَرَ علىٰ ذلِكَ، فإنَّ يوسُفَ عليه السلام امتَنَعَ عن الخُروجِ مِن السِّجنِ حتَّىٰ تتبَيَّنَ براءَتُه، وتشهَدَ علىٰ ذلِكَ امرَأةُ العَزيزِ والنِّسوَةُ اللَّاتي قطَّعن أيدِيَهُنَّ، فقالَ للرَّسولِ: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾[يوسف:٥٠].

❍ لمَّا مكَّنَ المَلِكُ ليوسُفَ عليه السلام قالَ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ

﴿٥٥﴾[يوسف]، ويُستَفادُ مِن هذا جَوازُ طلَبِ الوِلايَةِ لمَن كان كُفؤًا وعلِمَ أنَّه لا يوجَدُ مَن هو أكفَأُ مِنه، ولا بأسَ حينَئِذٍ مِن ذِكرِ الإنسانِ لفَضائِلِه لما في ذلِكَ مِن المَصلَحَةِ الرَّاجِحَةِ.

❍ لمَّا دخَلَ إخوَةُ يوسُفَ عليه السلام عليه في المرَّتَينِ الأولَيين لم يُعَرِّف نفسَهُ لهُم، واحتالَ لأن يَأخُذَ أخاهُ عندَه، ولم يتَعَرَّف إليهم ويُقدِم يَعقوبَ عليه السلام وبَنيهِ إلىٰ مِصرَ إلَّا في المرَّةِ الثَّالثةِ، وذلِكَ ابتِلاءٌ مِن اللهِ تَعالىٰ ليَعقوبَ عليه السلام، والأنبياءُ أشَدُّ النَّاسِ بَلاءً، فلمَّا أذِنَ اللهُ ليوسُفَ بيَّنَ لهُم أنَّه أخوهُم وقَبِلَ مِنهُم اعتِذارَهُم، وأقدَمَهُم مِصرَ ليُكرِمَهُم ويُحسِنَ إليهِم.

❍ لمَّا احتالَ يوسُفُ عليه السلام علىٰ إخوَتِه لم يكذِبْ وإنَّما استَعمَلَ المَعاريضَ، وهذا أمرٌ جائِزٌ ما لم يكُن فيه أكلٌ لحَقِّ الغَيرِ، ولهذا قالَ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾[يوسف:٧٩]، ولم يقُل: (مَن سرَقَ)، فهو إنَّما أوهَمَهم أنَّه سرَقَ ولم يُصَرِّح بذلِكَ.

❍ يُستَفادُ مِن احتِيالِ يوسُفَ عليه السلام علىٰ إخوَتِه جَوازُ استِعمالِ الحِيَلِ الَّتي يُتَوَصَّلُ بها إلىٰ الحُقوقِ المَشروعَةِ، وأمَّا التَّحايُلُ لإسقاطِ واجِبٍ أو فِعلِ مُحَرَّمٍ فهو تَحايُلٌ مَمنوعٌ، ويُعاقَبُ صاحِبُه بنَقيضِ قَصدِه.

❍ لمَّا رجَعَ إخوَةُ يوسُفَ عليه السلام إلىٰ أبيهم في المرَّةِ الثَّانِيَةِ ذكَروا قاعِدَةً مهمَّةً في بابِ الشَّهادَةِ، وهي قَولُهم: ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾[يوسف:٨١]، والعِلمُ إنَّما يَحصُلُ بالمُعايَنَةِ أو بخبَرِ الصَّادِقِ، فمَن شَهِدَ بغَيرِ عِلمٍ فقد شَهِدَ علىٰ زورٍ، وأتىٰ كَبيرَةً مِن كَبائِرِ الذُّنوبِ.

❍ لمَّا بعَثَ يَعقوبُ عليه السلام بَنيهِ إلىٰ مِصرَ في المرَّةِ الثَّالِثَةِ قالَ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[يوسف:٨٧]، فبدَأَ بيوسُفَ عليه السلام قبلَ أخيهِ مع كَونِه أبعَدَ زَمانًا، وفي ذلِكَ دَليلٌ علىٰ شِدَّةِ حُبِّ يَعقوبَ ليوسُفَ عليه السلام، وعلىٰ يَقينِه باستِجابَةِ اللهِ تَعالىٰ لدُعائِه، وتَصديقِه لرُؤيا يوسُفَ في صِغَرِه، ولأنَّه إذا رَدَّ اللهُ له يوسُفَ عليه السلام فإنَّه يَرُدُّ أخاهُ مِن بابِ أولىٰ.

❍ قالَ يَعقوبُ عليه السلام لبَنيه: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف:٨٦]، و﴿إِنَّمَآ﴾ تُفيدُ الحَصرَ، أي: لا أشكو ما بي إلَّا إلىٰ اللهِ عز وجل، وهذا لا يُنافي الصَّبرَ،

وأمَّا الشَّكوىٰ لدىٰ المَخلوقينَ فهي ممَّا يُنافي الصَّبرَ، وممَّا ينبَغي الإعراضُ عنه إلَّا عندَ مَن بيَدِه رَفعُ الضُّرِّ.

❍ مِن حِلمِ يوسُفَ عليه السلام وحُسنِ خُلُقِه أنَّه عفا عن إخوَتِه لمَّا ظهَرَ مِنهُم النَّدَمُ والتَّوبَةُ؛ بل زادَهم الدُّعاءَ ووعَدَهم أن لا يذكُرَ صَنيعَهم ولا يَعيبَهم به، فـ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

❍ لمَّا رفَعَ يوسُفُ عليه السلام أبَوَيه علىٰ العَرشِ قالَ مُخاطِبًا أباه: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ ﴾ الَّتي رأىٰ في صِغَرِه، ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ﴾ فوَقَعَ تَصديقُ رُؤياه، ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ ﴾ ولم يقُل: (مِنَ الْجُبِّ)، ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾[يوسف:١٠٠]، قالَ القُرطُبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»: (ولم يقُلْ: مِنَ الْجُبِّ استِعمالًا للكَرَم، لِئَلَّا يُذَكِّرَ إخوَتَه صَنيعَهم بعدَ عَفوِه عنهم بقَولِه: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾[يوسف:٩٢]... وقيلَ: لأنَّ في دُخولِ السِّجنِ كانَ باختِيارِه بقَولِه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ ﴾[يوسف:٣٣]، وكانَ في الجُبِّ بإرادَةِ اللهِ تَعالىٰ له، وقيلَ: لأنَّه كانَ في السِّجنِ مع اللُّصوصِ والعُصاةِ، وفي الجُبِّ مع اللهِ تَعالىٰ، وأيضًا فإنَّ المِنَّةَ في النَّجاةِ مِن السِّجنِ كانَت أكبَرَ).

❍ اختَلَفَ العُلماءُ في نُبُوَّةِ إخوَةِ يوسُفَ عليه السلام وهم الأسباطُ، واستَدَلَّ مَن قالَ بنُبُوَّتِهم بقَولِه تَعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾[النِّساء:١٦٣]، وبأنَّهم كانوا كَواكِبَ نَيِّرَةً يُهتَدىٰ بها في رُؤيا يوسُفَ عليه السلام، وأمَّا ما كانَ مِنهم مِن أَذِيَّةٍ ليوسُفَ وأخيه فقد تابوا مِنه تَوبَةً نَصوحًا مَقبولَةً، والتَّوبَةُ تَجُبُّ ما قبلَها مادامَت تحَقَّقَت شُروطُها، وهذا هو الَّذي رجَّحه العلَّامَةُ السِّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

❍ تكرَّرت لفظَتا (وَلَمَّا) و(فَلَمَّا) كثيرًا في سورَةِ يوسُفَ، والتَّمييزُ بينَهما مِن وَجهَين:

- **الأوَّلُ**: ورَدَ لفظُ (وَلَمَّا) في ستَّةِ مَواضِعَ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ﴾، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ ﴾، ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ ﴾، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم ﴾، ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُ ﴾، ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ ﴾، وأمَّا باقي المَواضِعِ فجاءَت (فَلَمَّا).

▪ **الثَّاني**: (الفاءُ) تُفيدُ التَّرتيبَ والتَّعقيبَ بينَما (الواوُ) تُفيدُ مُطلَقَ الجَمعِ، فمثلًا لو تأمَّلنا في قولِه: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾[يوسف] نجدُ أنَّ الفاءَ هي المُناسِبةُ؛ لأنَّ ذَهابَهم بيوسُفَ عليه السلام كانَ بعدَ قَولِهم بفاصِلٍ زَمَنِيٍّ قَصيرٍ.

○ يَذكُرُ كَثيرٌ مِن النَّاسِ في قِصَّةِ يوسُفَ عليه السلام أُمورًا لم تَرِدْ في الكِتابِ ولا في السُّنَّةِ، فليَنتَبِه مَن أرادَ أن يُكمِلَ القِصَّةَ أو يُحَسِّنَها بما يُذكَرُ في الإسرائيليَّاتِ الَّتي لا يُعرَفُ لها سَنَدٌ ولا ناقِلٌ وأغلَبُها كَذِبٌ= أنَّه مُستَدرِكٌ على اللهِ سبحانه وتعالى، ومُكَمِّلٌ لشَيءٍ يزعُمُ أنَّه ناقِصٌ، وحَسبُكَ بأمرٍ يَنتَهي إلى هذا الحَدِّ قُبحًا، فإنَّ تَفاصيلَ هذه السُّورَةِ قد مُلِئَت في كَثيرٍ مِن التَّفاسيرِ بالأكاذيبِ والأُمورِ الشَّنيعَةِ المُناقِضَةِ لِما قَصَّه اللهُ عزوجل.

○ مِن اللَّطائِفِ أنَّ يوسُفَ عليه السلام لُقِّبَ بالصِّدِّيقِ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦]، وكذلِكَ مَريَمُ بِنتُ عِمرانَ لُقِّبَت بالصِّدِّيقَةِ: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة:٧٥]، وكذلِكَ أُمُّ المُؤمِنينَ عائِشَةُ بِنتُ أبي بَكرٍ رضي الله عنهما لُقِّبَت بالصِّدِّيقَةِ بِنتِ الصِّدِّيقِ؛ كما جاءَ في مُسنَدِ أحمَدَ عن مَسروقٍ رحمه الله: (حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللهِ الْمُبَرَّأَةُ)، ويَجمَعُ هَؤلاءِ الثَّلاثَةَ أنَّهم اتُّهِموا بالفاحِشَةِ كذِبًا وبُهتانًا، فبرَّأَهم اللهُ ممَّا اتُّهِموا به ورفَعَ ذِكرَهم بينَ النَّاسِ.

○ وُصِفَ يوسُفُ عليه السلام بالإحسانِ في خمسَةِ مَواضِعَ مِن سورَةِ يوسُفَ:

١. قَولُ اللَّهِ عزوجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

٢. قَولُ صاحِبَيه في السِّجنِ: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٣. قَولُ اللَّهِ عزوجل: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

٤. قَولُ إخوَتِه: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

٥. قَولُ يوسُفَ عليه السلام نَفسِه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

# اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

[١] الأسباطُ: ○ أبناءُ إبراهيمَ عليه السلام. ○ أبناءُ يَعقوبَ عليه السلام الاثنا عشَرَ وذُرِّيَّتُهم.

[٢] كم عددُ إخوَةِ يوسُفَ؟ ○ ٥. ○ ١٠. ○ ١١.

[٣] ما اسمُ أبي يوسُفَ؟ ○ إبراهيمُ. ○ إسحاقُ. ○ يَعقوبُ.

[٤] رَأىٰ يوسُفُ أحَدَ عشَرَ كوكبًا والشَّمسَ والقَمرَ له ساجِدينَ، فمَن الشَّمسُ والقَمرُ؟ ○ أخوهُ وأُختُهُ. ○ أبوهُ يَعقوبُ وأُمُّهُ. ○ زَوجَتُهُ وابنُهُ.

[٥] مَن الَّذي أخرَجَ يوسُفَ مِن البِئرِ؟ ○ عَزيزُ مِصرَ. ○ امرَأَةُ العَزيزِ. ○ سَيَّارةٌ أرادُوا الاستِقاءَ مِن البئرِ.

[٦] ذهَبَ يوسُفُ بعدما خرَجَ مِن البئرِ إلىٰ: ○ مِصرَ. ○ القُدسِ. ○ اليَمَنِ.

[٧] النَّبيُّ الَّذي أُفرِدَت سورَةٌ لِقِصَّتِهِ: ○ موسَىٰ. ○ يوسُفُ. ○ مُحمَّدٌ.

[٨] المَرأةُ الَّتي راوَدَتْ يوسُفَ عن نَفسِهِ هي: ○ زَوجَةُ ملِكِ الشَّامِ. ○ زُلَيخَةُ امرأَةُ العَزيزِ.

[٩] رجَعَ بصَرُ يَعقوبَ عليه السلام لمَّا ألقَىٰ عليه البَشيرُ قَميصَ يوسُفَ: ○ صح. ○ خطأ.

[١٠] هل كانَ إخوَةُ يوسُفَ أنبياءَ؟ ○ نعم. ○ لا. ○ قَولان لأهلِ العِلمِ.

[١١] سببُ عَداوَةِ إخوَةِ يوسُفَ لهُ: ○ الغَيرةُ. ○ الحسَدُ. ○ كلاهُما.

[١٢] النَّبيُّ الَّذي أُلقِيَ في السِّجنِ: ○ موسَىٰ. ○ يوسُفُ. ○ شُعيبٌ.

[١٣] خافَ يَعقوبُ علىٰ يوسُفَ مِن: ○ الأسَدِ. ○ الكَلبِ. ○ الذِّئبِ.

[١٤] آذىٰ إخوَةُ يوسُفَ أخاهُم بأن: ○ ألقَوهُ في البئرِ. ○ ضَرَبوهُ. ○ باعوهُ.

[١٥] سببُ خُروجِ يوسُفَ مِن السِّجنِ: ○ طَلَبُه ذلِكَ مِن المَلِكِ. ○ تَفسيرُهُ لرُؤيا المَلِكِ.

[١٦] النَّبيُّ الَّذي كانَ في السَّماءِ الثَّالثَةِ في حَديثِ المِعراجِ: ○ موسَىٰ. ○ إبراهيمُ. ○ يوسُفُ.

[١٧] هو النَّبيُّ المُلقَّبُ بالصِّدِّيقِ هو: ○ إسحاقُ. ○ إبراهيمُ. ○ يوسُفُ.

[١٨] نبيٌّ نُقِلَ بعدَ مَوتِهِ مِن مِصرِ إلىٰ فِلسطينَ: ○ يَعقوبُ. ○ يوسُفُ.

○ موسَىٰ. ○ الأوَّلُ والثَّاني.

[١٩] نبيٌّ يُلقَّبُ بأبي اليَهودِ: ○ إسحاقُ. ○ إبراهيمُ. ○ يَعقوبُ.

[٢٠] لَقَبُ النَّبيِّ يَعقوبَ: ○ الصِّدِّيقُ. ○ خَطيبُ الأنبِياءِ. ○ إسرائيلُ.

[٢١] يَعقوبُ عليه السلام أبوه (○ إسحاقُ ○ إسماعيلُ)، وبُشِّرَ به (○ إسحاقُ ○ إبراهيمُ)، ووُلِدَ في حياةِ إبراهيمَ وزَوجَتِهِ سارَّةَ.

[٢٢] أفضَلُ أولادِ يَعقوبَ هو يوسُفُ عليه السلام: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٣] ممَّا وُصِفَ به يَعقوبُ عليه السلام: ○ التَّوكُّلُ. ○ العِلمُ. ○ مِن ذُرِّيَّتِهِ الأنبياءُ. ○ النُّصحُ لبَنيهِ عندَ المَوتِ. ○ تأويلُ الرُّؤيا. ○ أتَمَّ اللَّهُ علىٰ آلِهِ النِّعمَةَ. ○ التَّعلُّقُ باللَّهِ وعدَمُ اليَأسِ. ○ الجَميعُ. ○ الجَميعُ إلَّا تعبيرُ الرُّؤيا.

[٢٤] لُقِّبَ يوسُفُ عليه السلام بـ: ○ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ. ○ الصِّدِّيقِ. ○ الجميعِ.

[٢٥] بُعِثَ يوسُفُ عليه السلام إلىٰ أهلِ مِصرَ الأقباطِ: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٦] ممَّا وُصِفَ به يوسُفُ عليه السلام: ○ اجتباهُ اللَّهُ. ○ علَّمَه تأويلَ الرُّؤىٰ. ○ أتَمَّ نِعمَتَه عليه. ○ التَّمكينُ. ○ الحُكمُ والعِلمُ والإحسانُ. ○ مُخلَصٌ. ○ أوتِيَ شَطرَ الحُسنِ. ○ مُستجابُ الدَّعوَةِ. ○ الصِّدقُ. ○ الحِفظُ. ○ الكَيدُ. ○ المُلكُ. ○ الجَميعُ.

[٢٧] ذُكِرَت قِصَّةُ يوسُفَ عليه السلام مُطوَّلةً في سورَةٍ سمَّاها اللهُ عزوجل (○ أحسَنَ ○ أصدَقَ) القَصَصِ.

[٢٨] قصَّةُ يوسُفَ عليه السلام هي أطوَلُ قصَّةٍ وردَت في سورَةٍ واحدَةٍ: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٩] قصَّةُ يوسُفَ عليه السلام لم تَرِدْ في القرآنِ إلَّا مرَّةً واحِدَةً: ○ صح. ○ خطأ.

[٣٠] بدَأت قصَّةُ يوسُفَ عليه السلام برُؤيا وانتَهَت بوُقوعِها كما: ○ صح. ○ خطأ.

[٣١] لم يَأتِ في سورَةِ يوسُفَ عليه السلام إلَّا قصَّتُه؛ كما لم يَرِد في سورَةِ نوحٍ عليه السلام إلَّا قصَّتُه: ○ صح. ○ خطأ.

[٣٢] ذكَرَ اللهُ عزوجل في سورَةِ يوسُفَ أنَّه يقُصُّ علىٰ رَسولِه ﷺ في هذا الكِتابِ أحسَنَ القَصَصِ: ○ صح. ○ خطأ.

[٣٣] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ أي: لـ: ○ يَعقوبَ عليه السلام. ○ إسحاقَ عليه السلام. ○ إسماعيلَ عليه السلام. ○ إبراهيمَ عليه السلام.

[٣٤] أوَّلَ يَعقوبُ عليه السلام رُؤيا يوسُفَ عليه السلام بأنَّ الشَّمسَ: (○ أبوه ○ أمُّه)، وأنَّ القمَرَ: (○ أبوه ○ أمُّه)، وأنَّ الكَواكِبَ: (○ إخوَتُه ○ عَشيرَتُه)، وأنَّه ستَنتَقِلُ به الأحوالُ إلىٰ أن يَصيرَ إلىٰ حالٍ يَخضَعونَ له فيه (○ صح ○ خطأ)، وأنَّ هذه النِّعمَةَ (○ خاصَّةٌ بيوسُفَ عليه السلام ○ ستشمَلُ آل يَعقوبَ عليه السلام).

[٣٥] مَعنىٰ قَولِ يَعقوبَ عليه السلام: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾: ○ بأن يُؤتِيَكَ في الدُّنيا حسَنَةً. ○ بأن يُؤتِيَكَ في الآخِرَةِ حسَنَةً. ○ الجَميع.

[٣٦] لمَّا قالَ يَعقوبُ ليوسُفَ عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف:٥]: ○ امتَثَلَ يوسُفُ عليه السلام. ○ لم يَمتَثِل.

[٣٧] قالَ يَعقوبُ عليه السلام لبَنيه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، (أي: زيَّنَت لكُم أنفُسُكُم أمرًا قَبيحًا في التَّفريقِ بَيني وبَينَه)؛ لأنَّه رأىٰ مِن (○ القَرائِنِ والأحوالِ ○ رُؤيا يوسُفَ الَّتي قصَّها عليه ○ الجَميع) ما دلَّه علىٰ ما قالَه.

[٣٨] جاءَ في كُلِّ مَوضِعٍ ذُكِرَ فيه يَعقوبُ عليه السلام في سورَةِ يوسُفَ ذِكرُه للهِ ﷻ وتَعَلُّقُه به وَحدَه: ○ صح. ○ خطأ.

[٣٩] قَولُ يَعقوبَ عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: صَبرًا سالِمًا مِن: ○ السَّخَطِ. ○ التَّشَكِّي إلىٰ الخَلقِ. ○ الجَميع.

[٤٠] أكثَرُ ما وُصِفَ به يوسُفُ عليه السلام في القرآنِ الإحسانُ: ○ صح. ○ خطأ.

[٤١] قَولُ يوسُفَ عليه السلام: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾، قصَدَ أن يدعُوَهما إلىٰ الإيمانِ في هذه الحالِ الَّتي بدَت حاجَتُهما إليه، ليَكونَ أنجَعَ لدَعوَتِه، وأقبَلَ لهُما: ○ صح. ○ خطأ.

[٤٢] لمَّا دخَلَت السِّنونَ المُجدِبَةُ، وسَرىٰ الجَدبُ حتَّىٰ وصَلَ إلىٰ فِلسطينَ الَّتي يُقيمُ فيها يَعقوبُ عليه السلام وبَنوه، أرسَلَ يَعقوبُ عليه السلام بَنيه لأجلِ المِيرَةِ إلىٰ مِصرَ: ○ صح. ○ خطأ.

[٤٣] ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾، هذه المِحنَةُ العَظيمَةُ أعظَمُ علىٰ يوسُفَ عليه السلام مِن مِحنَةِ إخوَتِه (○ صح ○ خطأ)، وصَبرُه عليها أعظَمُ أجرًا

(○ صح ○ خطأ)؛ لأنَّه صَبرُ (○ اختِيارٍ ○ اضطِرارٍ) مع وُجودِ الدَّواعي الكَثيرَةِ لوُقوعِ الفِعل، فقَدَّمَ عليه السلام مَحبَّةَ الله سبحانه وتعالى عليها، وأمَّا مِحنتُه بإخوَتِه فصَبرُه عليها صَبرُ (○ اختِيارٍ ○ اضطِرارٍ).

[٤٤] قَولُ يوسُفَ عليه السلام لمَن ظَنَّ نَجاتَه: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ مِن بابِ الأَخذِ بالأسبابِ: ○ صح. ○ خطأ.

[٤٥] لمَّا قالَتِ امرَأَةِ العَزيزِ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾، يَحتَمِلُ أنَّها أرادَت: ○ زَوجَها، أي: ليَعلَمَ زَوجُها أنَّه لم يَحصُل مِنها سِوىٰ المُراوَدَةُ، ولم تُفسِد عليه فِراشَه. ○ يُوسُفَ عليه السلام، أي: حينَ أقَرَّت أنَّها هي الَّتي راوَدَته، وأنَّه صادِقٌ، فلم تَخُنه في حالِ غَيبَتِه عنها. ○ الجَميع.

[٤٦] قَولُ يوسُفَ عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ (○ ليسَ فيه ○ فيه) حِرصُه عليه السلام علىٰ الوِلايَةِ، وإنَّما هو رَغبَةٌ مِنه في النَّفعِ (○ العامِّ ○ الخاصِّ).

[٤٧] كُلُّ مَن عَرَفَ مِن نَفسِه الكَفاءَةَ والأمانَةَ والحِفظَ (○ فلَه ○ ليسَ له) أن يتقَدَّمَ للمَناصِبِ.

[٤٨] قالَ يوسُفُ عليه السلام لفِتيانِه: ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾، ولم يُخبِر إخوَتَه بها: ○ خشيَةَ أن يتحَرَّجوا مِن أخذِها. ○ ليُبَيِّنَ لهم إحسانَه إليهم بكَيلِه لهم كَيلًا وافِيًا بغَيرِ ثَمَنٍ. ○ خشيَةَ ألَّا يَجِدوا الثَّمَنَ في العامِ القابِلِ فيَكونَ ذلِكَ سببًا لعَدَمِ قُدومِهم عليه. ○ الجَميع.

[٤٩] امتَنَعَ يوسُفُ عليه السلام مِن الخُروجِ مِن السِّجنِ أوَّلَ مرَّةٍ: ○ حتَّىٰ تتبَيَّنَ براءَتُه التَّامَّةُ. ○ لصَبرِه، وعَقلِه، ورَأيِه التَّامِّ. ○ الجَميع.

[٥٠] مَعنىٰ: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾: ○ خرَجَت مِن أرضِ مِصرَ مُقبِلَةً إلىٰ أرضِ فِلسطينَ. ○ دخَلَت أرضَ فِلسطينَ.

[٥١] مَعنىٰ: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾: (○ أَدِمْ علَيَّ الإسلامَ ○ ثَبِّتْني عليه حتَّىٰ تتَوَفَّاني عليه ○ الجَميع)، وهو (○ مِن بابِ ○ ليسَ مِن بابِ) استِعجالِ المَوتِ.

[٥٢] مَعنىٰ قَولِ يَعقوبَ عليه السلام: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: ○ أنَّ اللَّهَ عزوجل يَرُدُّهم عليه، ويُقِرُّ عَينَيه بالاجتِماعِ بهم. ○ أنَّ الأمرَ إذا ضاقَ اتَّسَعَ. ○ أنَّ مع العُسرِ يُسرًا. ○ الفألُ الحسَنُ. ○ حُسنُ الظَّنِّ باللَّهِ. ○ أنَّ اللَّه يَأتي

بالبَعيدِ قبلَ القَريبِ، ولهذا قالَ: ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾. ❍ الجَميع.

[٥٣] لماذا تأَخَّرَ إبلاغُ يوسُفَ عليه السلام لإخوَتِه عن نَفسِه إلىٰ المرَّةِ الثَّالِثَةِ الَّتي يقدَمون فيها عليه؟ ❍ امتِثالًا لأمرِ اللَّهِ عز وجل. ❍ ليَتَحَقَّقَ ابتِلاءُ يَعقوبَ عليه السلام بفَقدِ ابنَيه الآخَرَينِ. ❍ ليَكونَ في إبلاغِه لهم وَقعٌ كَبيرٌ عليهم؛ لما أرادَ اللَّهُ بهم مِن الخَيرِ. ❍ الجَميع.

[٥٤] قَولُ امرَأَةِ العَزيزِ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ فيه: ❍ تَبرِئَةٌ لها. ❍ تَبرِئَةٌ ليوسُفَ عليه السلام مِن الفِعل. ❍ كلاهما صَحيحٌ.

[٥٥] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ هذا القَولُ مِنهنَ: ❍ مَكرٌ يتَوَصَّلن به إلىٰ رُؤيَةِ يوسُفَ عليه السلام. ❍ قَصَدنَ به مُجرَّدَ اللَّوم لها والقَدحِ فيها.

[٥٦] اختَرَ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

| | |
|---|---|
| ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: | تَرهيبٌ لهم إن لم يَأتوا بأخيهم. |
| ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: | أي: الثَّمَن الَّذي اشتَروا به الميرَةَ مِن يوسُفَ عليه السلام. |
| ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾: | تَرغيبٌ لهم في الإتيانِ بأخيهم. |

[٥٧] قَولُ النِّسوَةِ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فيه (❍ جَمالُ الظَّاهِرِ ❍ جَمالُ الباطِنِ)، وقَولُهُنَّ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ فيه (❍ جَمالُ الظَّاهِرِ ❍ جَمالُ الباطِنِ).

[٥٨] يُعرَفُ يوسُفُ عليه السلام بـ: ❍ الصِّدِّيقِ. ❍ العَزيزِ. ❍ الكَريمِ. ❍ الأَوَّلِ والثَّاني فقط. ❍ الجَميع.

[٥٩] اختَرِ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

| | |
|---|---|
| ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾: | أي: مُتَتابِعاتٍ. |
| ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾: | لا نُعَبِّرُ إلَّا الرُّؤيا، وأمَّا الأَحلامُ الَّتي مِن الشَّيطانِ أو مِن حَديثِ النَّفسِ فَلا نُعَبِّرُها. |
| ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: | لم يُعنِّفه يوسُفُ علىٰ نِسيانِه. |
| ﴿تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾: | أي: تَمنَعونَه مِن التَّقديمِ لهُنَّ. |
| ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾: | أي: لا قَليلًا ولا كَثيرًا. |
| ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾: | لم يَأتِ هذا مُصَرَّحًا به في رُؤيا المَلِكِ. |
| ﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾: | هذا جَزمٌ مِنهم بما لا يَعلَمونَ، وتَعذُّرٌ مِنهم. |
| ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾: | لأنَّه أَبقىٰ له وأبعَدُ مِن الالتِفاتِ إليه. |
| ﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾: | أي: أجعَلُه خَصيصَةً لي، ومُقرَّبًا لدَيَّ. |
| ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾: | أي: مُتَمَكِّنٌ، أمينٌ علىٰ الأَسرارِ. |
| ﴿مَكِينٌ أَمِينٞ﴾: | أي: تمَحَّضَ وتبَيَّنَ. |

[٦٠] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

| | |
|---|---|
| ﴿وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم﴾: | أي: كَفيلٌ. |
| ﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ﴾: | لم يَقولوا: لم نَسرِقْ. |
| ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾: | لم يَقُل: وجَدَها، أو سرَقَها. |
| ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾: | |
| ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾: | قَدِموا عليهم؛ لإبعادِ التُّهمَةِ. |
| ﴿ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾: | لأنَّهما ليسا شَقيقَين لهُما. |
| ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ﴾: | لم يَقولوا: ما الَّذي سَرَقنا؟ |
| ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾: | لم يُفَرِّق بينَهم، ولم ينسَ الأكبَر. |
| ﴿أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾: | لم يَقولوا :إنَّ أخانا سرَقَ. |
| ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾: | بأن يتمَلَّكَه صاحِبُ السَّرِقَةِ. |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾: | لم يقُل: نعم. |
| ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾: | لم يقُل: مِن الجُبِّ. |
| ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾: | لم يقُل: نزَغَ الشَّيطانُ إخوَتي. |
| ﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾: | لم يقُل: مِن الجوعِ والنَّصَبِ. |
| ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾: | ولم يقُل: بِنا، أو بِكُم. |
| ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: | كأنَّ الذَّنبَ صدَر مِن الطَّرَفَينِ. |
| ﴿بَيۡنِي﴾: | ولم يَقولوا: المُصَدِّقينَ. |
| ﴿وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾: | بدَأَ بنَفسِه ولم يُقَدِّمهُم أو يُفرِدهم. |

# رَوابِطُ قَنَواتِ مَعْهَدِ السُّنَّةِ:

مَوقِعُ مَعهَدُ السُّنَّةِ:

رابِطُ الفيس بوك:

رابِطُ التِّلجرام:

رابِطُ الانستغرام:

رابِطُ التويتر (X):

رابِطُ الواتساب:

قَناةُ اليوتوب:

رابِطُ تَحميلِ الكُتُبِ: